

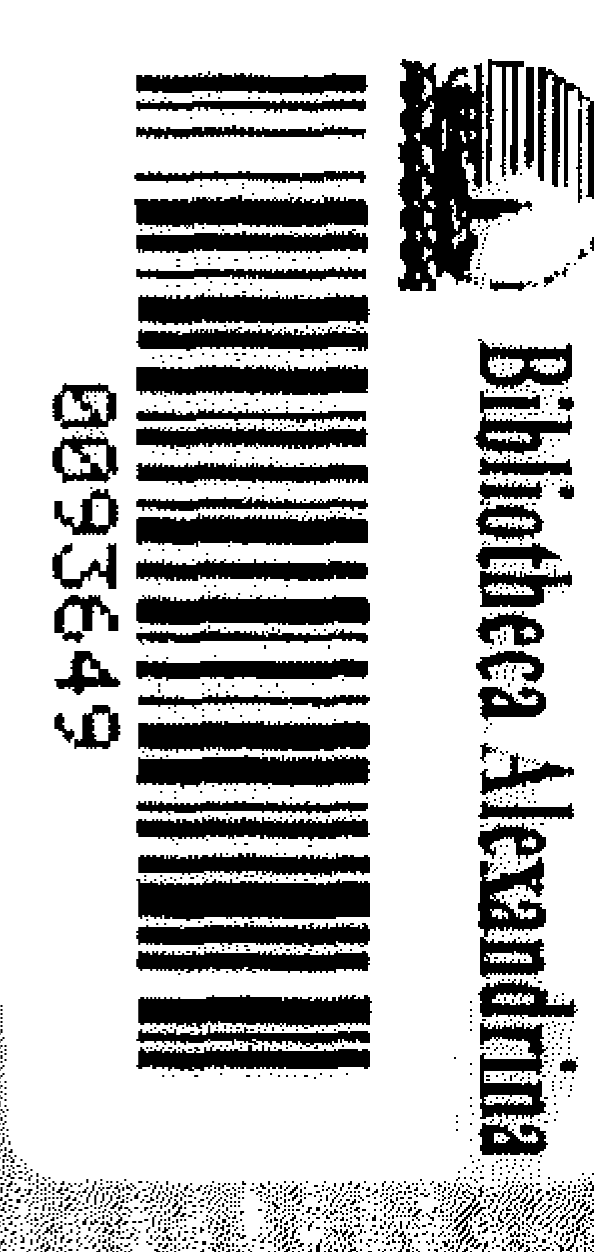
أديب العقل

تأليف

الدكتور فكتور الكك

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

في الجامعة اللبنانية



دار الكتاب اللبناني - بيروت

ابن المقفع



أديب العقل

تأليف

الدكتور فكتور الكك

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها
في الجامعة اللبنانية

دار الكتاب اللبناني — بيروت

الشركة العالمية للكتاب ش.م.ل.



دار الكتاب اللبناني
مكتبة المدرسة
طباعة - نشر - توزيع

الإدارة العامة

الصنائع - مقابل مبنى الإذاعة اللبنانية
هاتف: ٣٤٩٠٥٥ - ٣٤٩٢٧٠
ص.ب ٣١٧٦ - تلكس LE ٢٢٨٦٥
برقياً: كتالبنان - بيروت - لبنان

المستودعات

هاتف: ٢٥١٤٣٣

الطبعة الأولى

١٤٠٦هـ - ١٩٨٦

ابن المقفّع : لم يُقتَلْ بل انتحر !

هو ، قبل اسلامه : روزبه بن داذويه ، وبعد اسلامه : عبد الله .

كان والده يتولى خراج « فارس » من قبل « خالد بن عبد الله القسري » امير العراقين ؛ فاتهم بالاختلاس من مال الدولة، فأمر به « يوسف ابن عمر الثقفي » الذي تولى امارة العراقين بعد خالد ، فاعتقل وضرب على يده حتى تقفعت أي تشنجت ، فقيل له : المقفع .

والمقفع هذا فارسي الاصل، نشأ في « الاهواز »، ومات على دين بني قومه الاصلي . ولد ابنه في « جور »، ونشأ على مجوسية ابيه، متثقفا بثقافة الخاصة من بني قومه ، مستعربا متضلعا في اللغة

للعربية وآدابها . مخالطا مواليد آل الأهتم وهم أهل فصاحة وبيان .

وقد تبع الولد سنة ابيه . واتخذ صناعته قواما لمعيشته ، فكتب لـ « داود بن هبيرة » في الدولة الاموية التي قضى فيها ستا وعشرين من سني حياته .

ولما ارتفع هلال الدولة العباسية في سماء الشرق اتصل ابن المقفع بـ « عيسى بن علي » فكتب له ثم أسلم على يده فيما بعد ؛ ثم بـ « اسماعيل بن علي » والي الاهواز فالموصل ، ثم بـ « سليمان ابن علي » امير البصرة ، وهم اعمام الخليفة المنصور . وترجم للمنصور عدة كتب على ما يذكر المصنفون . الا أنه لم يتصل به .

جمع ابن المقفع العلم في زمانه من اطرافه ، فألّف بين ثقافتي العرب والعجم : اتقن اللغة الفهلوية (فارسية الامبراطورية الساسانية) اتقانا فريدا لم يتوفر عليه سوى القليلين من بني قومه ، وحذق العربية وجلى فيها . واوتي من الذكاء ونفاذ البصيرة ما جعله فذا بين اقرانه ، فقال فيه

ابن سلام : سمعنا مشايخنا يقولون : لم يكن بعد الصحابة اذكى من« الخليل بن احمد» ولا أجمع ، ولا كان في العجم اذكى من «ابن المقفع» ولا اجمع .

وعليه فقد نقل كتبا كثيرة من الفهلوية الى العربية ، وعلى رأسها كتاب « كليلة ودمنة » الذي جاء النصح فيه على افواه البهائم والطيور . وفيه يتجلى اسلوب ابن المقفع الفـذ في الكتابة والانشاء الذي عبد به الطريق للنثر العربي وطوّعه لتناول مختلف الموضوعات ، وخرج به من دائرته الضيقة في فصاحة باهرة وبلاغة معجزة ، فعرف بالاسلوب السهل الممتنع .

واذا تدبرنا اخلاقه رأيناها تتجلى في سجاياه الكريمة ، وقوامها : المروءة والحكمة . فقـد عرف كاتبنا بالرصانة وسهولة المخالقة والإباء والترفع عن الدنايا ؛ وغدا وفاؤه للخلان والاصدقاء مضرب الامثال : فقد طلب صديقه « عبد الحميد ابن يحيى » الكاتب بعد مقتل« مروان بن محمد » آخر خلفاء بني أمية،فلجأ اليه ؛ وفاجأتهما الشرطة

في بيت واحد ، فقالوا لهما : « ايكما عبد الحميد » ؟ فأجاب ابن المقفع : « أنا » ، خوفا على صديقه ، لكن عبد الحميد ابى أن يقتل صاحبه فدى عنه ، فأبان عن حقيقة شخصه . فاعتقل ، ثم قتل ... وهكذا سجل ابن المقفع اروع ضروب الوفاء والاخلاص . مطبقا ما قاله في كتابه « الادب الكبير » : « ابذل لصديقك دمك ومالك » !

* * *

أما عن مقتل ابن المقفع ، فالى القارىء فيما يلي رواية جديدة تناقض جميع الرويات المعروفة حتى اليوم .

من الشائع المشهور أن ابن المقفع لاقى حتفه بسبب شرط كتبه لعبد الله بن علي على عمه الخليفة ابي جعفر المنصور . فأمر هذا واليه على البصرة « سفيان بن معاوية » بقتله ، فامتثل الوالي لأمر سيده .

وتفصيل ذلك ، كما جاء في « فهرست » ابن النديم (٩٣٦ ـ ٩٩٥) و« مرآة الزمان » لابن الجوزي (١١٨٦ ـ ١٢٥٧) و« وفيات الاعيان » لابن خلكان (١٢١١ ـ ١٢٨١) أن عبد الله بن

علي كان واليا على الشام من قبل ابن اخيه «المنصور» ؛ فخرج على الخليفة سنة ١٣٧ هـ – ٧٥٤م، فادعى الامامة وأراد الخلافة لنفسه . فبعث اليه المنصور بجيش بقيادة ابي مسلم الخراساني ، فقاتله ابو مسلم وهزم رجاله ؛ فهرب عبد الله الى البصرة ، وتوارى بها عند اخيه سليمان . ثم ان المنصور عزل سليمان عن البصرة سنة ١٣٩هـ – ٧٦٥م وولى مكانه سفيان ابن معاوية المهلبي .

وبقي عبدالله متخفيا متسترا عند اخويه سليمان وعيسى . فطلب منهما المنصور تسليمه ، فامتنعا عن ذلك الا بأمان يمليان شروطه خوفا على حياته ؛ فرضي الخليفة بشرطهما . فطلبا من ابن المقفع كاتبهما ان يكتب الامان ويحكم شروطه، اتقاء لغدر المنصور بعمه . فكتبه ابن المقفع ، وبالغ في التشدد حتى قال في بعض فقراته : «ومتى غدر امير المؤمنين بعمه عبدالله بن علي ، فنساؤه طوالق ، ودوابه حُبس ، وعبيده احرار ، والمسلمون في حِل من بيعته» .

فبلغ ذلك مـن نفس المنصور مبلغا عظيما ، ولا سيما امر البيعة ؛ ووقف على امر ابن المقفع ، وانه كاتب الامان ، فأوعز بقتله الى سفيان بن معاوية والي البصرة .

وكان سفيان حانقا على ابن المقفع يتربص به ، لأن صاحب «كليلة ودمنة» كان يسخر منه ، ويتنادر عليه . فقد روي انه سمعه مرة يقول : «ما ندمت على سكوتي قط» . فقال له : «الخرس زين لك ، فكيف تندم عليه» ؟

فلما وصل الى سفيان كتاب المنصور يوعز اليه بقتله ، تربص به حتى وفد عليه يوما ، فأمر بقتله . واختلف في طريقة قتله ، فقيل انه القي في بئر وردمت عليه الحجارة ؛ وقيل : ادخل حماما واغلق عليه بابه فاختنق ؛ وقيل : بل قطعت اطرافه عضوا عضوا ، ثم القي في تنور واطبق عليه ...

فلما بلغ الخبر سليمان وعيسى دخلا على سفيان بن معاوية وأحضراه الى المنصور مقيدا في اغلاله ، واحضرا شهودا صرحوا ان ابن المقفع

دخل دار سفيان ولم يخرج منها . فقال المنصور لهم : « أرأيتم ان قتلت سفيان به ، ثم خرج ابن المقفع من هذا البيت (واشار الى باب خلفه) وخاطبكم ، ما تروني صانعا بكم ؟ أفأقتلكم بسفيان ؟ » . فاستولى الرعب على الشهود ، ورجعوا عن شهادتهم ، فعلم سليمان وعيسى انه قتل برضى الخليفة .

وروي أيضا ان من اسباب قتله اتهامه بالزندقة وصحبته للمتهمين في دينهم ، ومعارضة القرآن ، وترجمة كتب الزنادقة . وقد ذكر ابن النديم انه ترجم « كتاب مزدك »، وان سفيان لما قتله قال : « ليس علي في هذه المثلة بك حرج ، لانك زنديق وقد افسدت الناس » .

وقال الدكتور طه حسين في كتابه « من حديث الشعر والنثر » : « ان الذي سبب قتل ابن المقفع رسالة الصحابة التي كتبها صاحبنا للمنصور لان فيها ما يكاد يكون برنامج ثورة ، فقد اشار فيها على الخليفة بتحسين اوضاع الجند من أهل خراسان وبوضع كتاب جامع للاحكام الفقهية

يرجع القضاة اليه ويجنبهم التناقض في احكامهم
ومثل هذه الاراء كانت كفيلة باغضاب القضاة
وكبار القوم لانها صدرت عن رجل عرف
بشعوبيته ومشبوه في دينه » .

* * *

ومهما يكن من امر الأسباب التي دعت الى
قتل ابن المقفع ، فان ما يهمنا هنا كيفية قتله
وطريقة موته . فالرأي السائد حتى اليوم ، كما
رأينا ، هو ان سفيان بن معاوية قتل ابن المقفع
ومثل به .

وقد وقفت على مصدر عربي في مكتبة
للمخطوطات بطهران ، قرأت فيه قولا لمؤلفه
يتعلق بموت ابن المقفع . وهو قول بالغ الاهمية
جدير بالتأمل، مفاده أن سفيان بن معاوية لما ظفر
بابن المقفع واراد حمله الى المنصور قتل نفسه :
قال بعضهم انه شرب سما : وقال بعضهم انه
خنق نفسه .

أما اسم المصدر المهم المذكور فهو « كتاب
المقالات والفرق » من تصنيف سعد بن عبدالله
ابي خلف الاشعري (النسبة لقبيلة « أشعر »

اليمانية) القمي المتوفى عام ۲۰۱ للهجرة . وقد حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمد جواد مشكور عن نسخة خطية يتيمة ، واشتركت معه في تصحيحه.والكتاب يبحث في الفرق والنحل ، وفرق الشيعة خاصة .

جاء في هذا المصدر خلال كلام على عقد الامامة لابي جعفر المنصور : « وامه ام ولد يقال لها سلامة البربرية ، وكان ابو العباس جعل ولاية عهده لاخيه ابي جعفر المنصور ثم لابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فخالفه عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس ، فادّعى الامامة ووصية ابي العباس ، فقاتله ابو مسلم فهزمه ، وهرب وتوارى بالبصرة فأخذ بعد ذلك بأمان . وهو صاحب عبد الله بن المقفع الزنديق .

« وقد كان اعطى [المنصور] لعبدالله بن علي عمه ، فيما روي ، سبعين امانا ، كلها يردها عبد الله بن المقفع ويقول له : هذا ينتقض عليك ويبطل من مكان كذا وكذا . فلما ضجر المنصور

وطال عليه امره كتب الى (سفيان) بن معاوية المهلبي ، وهو عامله على البصرة ـ بعدما وقف على أمر ابن المقفع وانه صاحبه ، وكان متواريا مخافة المنصور وما بلغه عنه ـ يقسم بالله وبالايمان المغلظة لأن (كذا) لم يطلب عبد الله بن المقفع ولم يقتله ليقتلنه ومن بقي من أهل بيته من آل المهلب ، فطلبه (سفيان) بن معاوية ، فظفر به واراد حمله الى المنصور فقتل نفسه . قال بعضهم انه شرب سما ، وقال بعضهم انه خنق نفسه » .

هذا وان قدم عهد « كتاب المقالات والفرق » يضفي على مقالته قوة ويزيد فيها ثقة ، لانه يسوق الرواية بلهجة غير مشككة ، وسائر المصادر التي جرى الحديث فيها على مقتل ابن المقفع متأخرة عنه زمنا ...

بيروت ، الجامعة اللبنانية

فيكتور الكك

أشخاص التمثيلية

١ ـ ابن المقفع : كاتب ، أديب ، انيق المظهر ، وسيم ، ملء اهابه الشباب ١٠٦ هـ ـ ١٤٢ هـ
٧٢٤ م ـ ٧٥٩ م

اسمه : قبل اسلامه : روزبه
بعد اسلامه : عبد الله
كنيته : ابو عمرو ـ ثم ابو محمد

٢ ـ رستم : خادم ابن المقفع

٣ ـ عبد الحميد بن يحيى : كاتب مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية

٤ ـ ابو جعفر المنصور : الخليفة العباسي الشهير

٥ ـ سليمان بن علي : عم المنصور ، ووالي البصرة

٦ ـ عيسى بن علي : عم المنصور ، ووالي كرمان

٧ ـ اسماعيل بن علي : عم المنصور . ووالي الاهواز ثم الموصل

٨ ـ عبد الله بن علي : والي الشام من قبل السفاح ، ادعى الخلافة لنفسه ١٣٧ هـ.

٩ ـ ابو ايوب المورياني : رئيس دواوين المنصور ، ثم وزيره
١٠ـ ابو الخصيب : مولى المنصور وكاتبه
١١ـ سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب : والي البصرة بعد سليمان بن علي
١٢ـ ابن ابي ليلى : فقيه
١٣ـ معن بن زائدة : والي خراسان من قبل المنصور ومن اجواد العرب
١٤ـ ابن رامين : تاجر قيان بالكوفة
١٥ـ سلامة الزرقاء : من جواري ابن رامين ، مغنية شهيرة
١٦ـ محمد بن الاشعث : معلم جواري ابن رامين الغناء
١٧ـ اسماعيل بن عمار الاسدي : شاعر لاهٍ
١٨ـ رَوح بن حاتم : من قواد العباسيين
١٩ـ والبة بن الحباب الاسدي : من شعراء الكوفة
٢٠ـ عمر بن أبي حليمة : كاتب سليمان بن علي
٢١ـ عمارة بن حمزة : من الأجواد ، قلّده المنصور خراج البصرة
٢٢ـ يحيى بن زياد الحارثي : من مرتادي دار ابن رامين
٢٣ـ مطيع بن اياس : شاعر عبّاسي مجدّد
٢٤ـ سعيد بن سلم
٢٥ـ جماعة من جند العباسيين .

الفصل الأول

المشهد الاول

ابن المقفع ، وعبد الحميد بن يحيى بعد فراره غب مقتل مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية .

الأشخاص :

ابن المقفع : دون الثلاثين .

عبد الحميد : دون الاربعين .

المكان : منزل ابن المقفع في « البحرين » .

الزمان : سنة ١٣٧ هـ.

***

ابن المقفع :

(مطرقاً) إي . يا أخي عبد الحميد ! انها الدنيا : سراب تطفو فيه الآمال ، ثم تغرق . لا مردّ لحكم القدر ، فهو نافذ في الناس جميعا .

عبد الحميد :

(وعلى وجهه أمارات التعب والاعياء)

كنت ، يا روزبه ، اتوقع زوال ملك الامويين فقد غدا مجدهم على شفا حفرة من الانخذال :

ففي كل ناح ثائر ، وفي كل ارض من اراضي مملكتهم خارجي . لقد جاوزوا حدود

البطش والفتك . لم يتركوا علويا مطمئنا الى فجر غده ، وبعض عمالهم لم يرع حرمة ركوع او سجود . لقد ملأوا قلوب الاعاجم إحَناً ، وشحنوا صدورهم حقدا . فما تألفوا قلوبهم ، ولا عاملوهم بما نص عليه القرآن وجرت به السنة .

ابن المقفع :

قالت الحكماء : «خير الاعمال احمدها عاقبة . وأفضل الملوك من لا يخالطه بطر ، ولا يستكبر عن قبول النصيحة» . ان بني أمية في عهود ملوكهم المتأخرين لم ينظروا في عواقب اعمالهم ، فاتّبع بعضهم سبيل الهوى وانصرف الى اللهو ، وتركت سياسة الرعية لصحابتهم ، او للعمال والولاة .

عبد الحميد :

قرأت ، يا روزبه ، في اقوال حكمائنا من الفهلويين ، مما نقلته انت الى العربية ، «ان السلطان لا يستطاع الا بالوزراء والاعوان ، ولا تنفع الوزراء الا بالمودة والنصيحة ، ولا المودة الا مع الرأي والعفاف» . واعمال السلطان كثيرة .

وانما الوجه في ذلك ان يكون صاحب السلطان عالما بأمور من يريد الاستعانة به .

ابن المقفع :

لو أخذ الملوك بتعاليم الحكماء لما ورّطوا الرعية . والمثل على ما تذكر ان هشام بن عبد الملك ولىّ نصر بن سيار على « خراسان » ، وهو يعلم ان عصبيته فيها ضعيفة وان خراسان لا يضطلع بأمرها الا من كان قوي العشيرة ، فاجتمعت عليه أفناء اليمن وربيعة ، وحاربته لانحيازه الى المضرية .

عبد الحميد :

واشنع من هذا ، يا روزبه : لقد اهدى الجنيد ابن عبد الرحمن قلادة ثمينة لامرأة هشام ، فأعجبت هشاما ، فقرنها الجنيد بأخرى لهشام .
أتعرف بم كافأه هشام يا ابا عمرو ؟

ابن المقفع :

ولاّه خراسان !

عبد الحميد :

نعم ، يا أخي ، نعم ولاه خراسان ! وها

ان بني امية يحصدون اليوم ما زرعوا . «كل نفس بما كسبت رهينة » !

ابن المقفع :

لقد صدق بزرجمهر الحكيم حين قال : « الرأي والهوى متعاديان » . يا أخا الصفاء ! « من نصب نفسه للناس إماما فعليه أن يبدأ بتعليم نفسه وتقويمها في السيرة والطعمة والرأي واللفظ والأخدان، فيكون تعليمه بسيرته ابلغ من تعليمه بلسانه » .

عبد الحميد :

أنى لبني أمية ان يقوّموا نفوسهم ، وهم قد اختلفوا فيما بينهم واجتمع المختلفون عليهم ؟ اجتمع عليهم الخارجي والزبيري والعلوي والعباسي والاعجمي ، وشغلوا عن هؤلاء بالشقاق والكيد والتزاحم على السلطة .

(يدخل خادم حاملا قدحين من الشاي) .

ابن المقفع :

ان دعوة العباسيين، يا عبد الحميد ، نشطت منذ خلافة عمر بن عبد العزيز . وقد استصغرها

الامويون ، وقد غاب عنهم ان اصل كل كبير صغير . والغريب ان صاحبك امير المؤمنين مروان لم يدرك خطورة تحذير نصر بن سيار حين كتب له عن نشاط ابي مسلم الخراساني في خراسان وعن جماعته .

عبد الحميد :

كثرت التحذيرات : قولا وعملا ، يا ابا عمرو، وجاءت تنبه النائمين من غفلتهم، إلا أنها لم تجد اذنا صاغية . وانا : يا اخي ، على اعجميتي انما اردت لدولة بني امية الاستمرار . مع ما لاقى بنو قومنا من عنتهم واضطهادهم،لان صلاح امورالناس في الاستقرار والتطور وتحسين الاوضاع.

(يتوقف قليلا ليشرب الشاي)

ان النقمة التي اعتملت في نفوس الناس كان يجب ان توقظ نقمة في نفوس بعض بني امية على مسلكهم في سياسة الناس وتدبر اسلافهم للامور . فتصرفهم عن التعسف . وتحدث الثورة في دائرة الحكم لا في ساحة الشعب ، لأن الناس اذا اندفعوا عجزوا عن السيطرة على انفسهم،

وليس بعد ذلك سوى الفتنة .

ابن المقفع :

بالحق نطقت يا عبد الحميد ، فقد شخصت الداء واحسنت اختيار للدواء . لكن مقاليد الامور لم تكن بيدك ولا بيدي . ان بعض الامويين لم يرعوا لنا عهدا ولا وفوا بعهد الرسول الينا حيث حدث ان الناس سواسية كأسنان المشط ، وأن لا فضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى .

عبد الحميد :

لكن الطاعة لأولي الامر واجبة لضمان الاستمرار ، والا هدرت الطاقات في غير وجهها ، وحُوِّلت للهدم عن البناء .

ابن المقفع :

هذا عين الصواب . الا أن العضو اذا استولى عليه الفساد استيلاء كاملا ، فان سائر الاعضاء تدعو الى بتره خوفا على نفسها . وها هي جيوش الاعاجم قد خرجت بقيادة صقر خراسان ، «وهم جند لهم ابدان واجسام ، ومناكب وكواهل ولحىً وشوارب ، واصوات هائلة ، ولغات

فخمة تخرج من اجواف منكرة »، ومنادية :
الثار ، للثار ! للنار ولا العار !

عبد الحميد :

ان ما شاهدته وشهدته من غضبة الخراسانيين والعلويين وبطولة ابي مسلم يعجز عن وصفه البيان ، وان يكن بيان عبد الحميد لابن المقفع !

ابن المقفع :

لا جرم انها كانت ملحمة فريدة .

عبد الحميد :

لو شهدت معركة « الزاب الاعلى »[1] وبلاء عبد الله بن علي وجموعه وبلاءنا لشهدت عجبا !
ان من غرق في « الزاب » اكثر ممن قتل ...

كنا جميعا إما نُهبى للسيوف ، واما طعمة لمياه « للزاب » المجنون .

ابن المقفع :

معركة حقد تفجرت فيها الثارات ...

---

(١) بين الموصل واربل .

عبد الحميد :

نهر من دماء ووحل ، من فوقه أشلاء جثث ، من فوقها غبار ! هدير ماء يقرعه صياح فرسان ، وصهيل خيل ، وقعقعة سيوف غاضبة ! ملاحم بعضها فوق بعض !

ابن المقفع :

لقد نجوت بنفسك يا عبد الحميد ، فعليك بالهدوء .

عبد الحميد :

نجوت بنفسي ، في « الزاب » وفي « فلسطين » ، غير اني لن انجو آخر الامر . وقد اخترت الموت مع مولاي « مروان » على الخيانة . مع انه الحّ علي في التخلي عنه واللحاق ببني العباس قبل ان يحصل ما حصل . وقلت له : « علي الصبر معك الى أن يفتح الله عليك ، او أقتل معك » ! شاركته في الحياة ، فمن العار أن أجبن عند الممات .

ابن المقفع :

احسنت يا عبد الحميد ! ان عبارتك هذه كادت تنسيني هول معركة الزاب ، فقد قال

الفيلسوف : « ان العاقل لا يَعدِل بالاخوان شيئا » .

عبد الحميد :

لله در الصداقة ، يا ابا عمرو ! انها حلاوة الدنيا، وكيمياء السعادة ؛ تحول مرارة الحياة الى شهد يُلعق . لا يعدِلها نسب ولا يغني عنها حسب « إنما احب اخي اذا كان صديقي » !

ابن المقفع :

اي ، يا عبد الحميد . يحرم المرء نفسه من امور كثيرة . لكنه اذا رأى صديقه في عسر هان لديه البذل ، كما تهون نفوس الابطال عليهم في ساحات القتال . لقد جلعت شعاري في الحياة قولا كتبته للناس في كتابي : « الادب الكبير »: « أبذل لصديقك دمك ومالك » !

عبد الحميد :

ابذل لصديقك دمك ومالك ! نعم يا ابا عمرو . ما وجدت ، بعد سقوط الامويين وضياع منزلتي، سوى بيتك آوي اليه، وصداقتك أفيء اليها . اي . يا ابا عمرو ! انها الصداقة : لا يعدلها نسب ولا يُغني عنها حسب !

المشهد الثاني

ـ ابن المقفع وعبد الحميد سادران : كل في ضباب أفكاره ، وفي مخيلتيهما ذكريات تزحم ذكريات ، وماضٍ يصدم حاضراً ...

ـ وفجأة يسمع في الخارج وقع حوافر خيل ...

***

ابن المقفع :

(منادیا خادمه) يا رستم ! من في الخارج ؟

رستم :

(يطل من النافذة) جند ! يا مولاي .

عبد الحميد :

لقد أزِفت الساعة ، يا اخا الصفاء ! وداعا ، يا ابا عمرو ! عرفت الرفعة والسلطة ، وكانت الدولة الاموية من الشرق الى الاندلس تنفذ ما حوته رسائلي من تنظيمات سياسية، وادارية ، وعسكرية ، رميت فيها الى صلاح امور الناس.

ابن المقفع :

الاعمال الخيرة لا تموت ، تبعث في اشخاص الصالحين . لا تأسف على شيء ، يا اخي .

عبد الحميد :

أمضي غير آسف على شيء ، سوى فراقك يا ابا عمرو ! في قلبي غصة على ذهاب صداقتنا بذهابي ، وانقطاعها قسرا من احد طرفيها ؛ ولقد خلت أن طرفي الارض ينزويان وطرفا صداقتنا لا ينزويان !

ابن المقفع :

(يقف وينظر الى عبد الحميد الذي يبقى جالسا على الارض وقد اغرورقت عيناه)

انه القضاء يا اخي عبد الحميد! لا مرد لحكمه. هذه « جزية » أعوان الملوك ، سنة الحياة أن يشاركوهم في السراء والضراء .

(يدخل الجند ، ضخام الأجساد، بسلاحهم)

جندي :

(صارخا) : أيكما عبد الحميد ؟

ابن المقفع وعبدالحميد :

(يتقدمان ويجيبان معا) : أنا .

جندي :

ماذا أسمع ؟ ما الذي دهاكما ؟ قلت : ايكما عبد الحميد ؟

ابن المقفع وعبد الحميد :

أنا عبد الحميد !

عبد الحميد :

(متوجها الى ابن المقفع) نشدتك الله يا ابا عمرو ! انها قسمتي ، دعني والموت ! فهذا ما كتبه لي ربي . ما زلت في ريعان العمر يا اخي ، وان مستقبلا زاهرا بانتظارك .

ابن المقفع :

(للجند) أنا عبد الحميد ، لا تصغوا اليه . لأمر واحد اهون من امرين : عذابكم اخف وطأة علي من عذاب صديقي وحزني ، على الدهر ، لفقده !

عبد الحميد:

(للجند) يا قوم ! أنا عبد الحميد . ان هذا الرجل صديقي ، وهو جماع الفضائل ومعدن المروءة ، انه يخدعكم ليفديني . انه « روزبة بن

داذويه » الكاتب . هو القائل : ابذل لصديقك دمك ومالك . وهو يريد ان يفعل ما قال .

الجندي :

لقد ضقت ذرعا بكما (يشير الى أحد اعوانه) خذهما كلاهما ، فليس هذا (ابن المقفع) بأفضل من ذاك (عبد الحميد) .

عبد الحميد :

ترفقوا بنا رعاكم الله ، فان كلا منا لـه علامات ، فوكلوا بنا بعضكم ، وليمضِ البعض الآخر ، ويذكر تلك العلامات لمن وجهكم .

الجندي :

(لرفاقه) ابقوا هنا ريثما اسأل قائد الكتيبة .

(يخرج ثم يعود بعد برهة)

(مقبلا على عبد الحميد) : انت عبد الحميد ! سِرْ يا كاتب اعداء الله ، « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » !

الفصل الثاني

المشهد الاول

المكــان : منزل ابن المقفع بالبصرة .
الاشخاص :

ابن أبي ليلى
معن بن زائدة
عيسى بن عــلي

***

عيسى بن علي :

ان افضل ما يكسبه العاقل مجالسة العلماء وذوي الفطن من امثالك ، يا ابا عمرو .

ابن المقفع :

لك الشكر ايها الامير . انت معدن الفضل ، وصاحب الرأي .

عيسى بن علي :

لم أجاوز الحقيقة فيما قلت . ان الله وهبك ، الى الفطنة ، نفاذ النظر في احوال الناس ، وحبا للعلم والاستزادة منه . ولقد عهدتك لا تفتأ تنظر في كتب القدماء ، وتنقل منها الى العربية ما هو

للسلطان طريق الصلاح ، وللناس غذاء العقول والارواح ، فهلا حدثتنا عما تنقله في هذه الايام ؟

ابن المقفع :

الحياة قصيرة ايها الامير ، وعلى المرء ان يحياها على وجهها الافضل ، بتأديب النفس ، وصرفها الى الصلاح ، والابتعاد عن كل ما يشين ؛ ولذا عزمت على نقل آداب الملوك والسراة من كتب الفرس وسيَرهم .

عيسى بن علي :

وما الذي تنقله ، يا ابا عمرو ؟

ابن المقفع :

انقل كتابا يعرف باسم « خداينامه » او سير ملوك الفرس ، وكتابا آخر يعرف بـ « آيين نامه »، وآخر سموه « تاجنامه » او كتاب التاج .

عيسى بن علي :

هلا اسمعتنا بعض ما جاء في هذه الكتب ؟

حدثنا عن الملوك ، ما يجمل بهم وما يقبح .

ابن المقفع :

سئل انو شروان : أي الناس أحق بالملك ؟ قال : أشدهم محبة لإصلاح الناس ، واعلمهم بالتدبير ؛ قيل : ثم من ؟ قال : اشدهم سلطانا على هواه ، واقهرهم له !

عيسى بن علي :

صدق ، والله . زدنا من أدب الملوك : يـا أبا عمرو .

ابن المقفع :

كان ملوك الفرس ، ايها الامير ، ذوي حكمة ومعرفة ودراية ، ولهم اقوال كثيرة في هذا الباب. ولكن ، ما دمنا بصدد«انو شروان»أي«ذي الروح الخالدة»، فاني ناقل لكم قوله في آخر كتاب « المسائل » ، قال : « قد كنت للعقل في الحداثة مؤثرا ، وللعلم محبا ، وعن كل تعليم مفتشا ؛ فرأيت العقل اكبر الاشياء وأجلّها ، والخيم الصالح خير الامور ، والحِلم أزين الخصال ، والمواساة أفضل الاعمال ، والاقتصاد احسن الافعال ، والتواضع احمد الخلال» .

عيسى بن علي :

«رأيت العقل اكبر الأشياء» .. ان صلاح الملوك ، يا ابا عمرو،ان يجعلوك في مقدمة صحابتهم ، فان ما يخزنه عقلك من المعرفة وما يضمه من الحكمة ، لصراط قويم يقيهم العثرات. ولكن. لا !(يتوقف قليلا عن الكلام):ان صحبتك لهم تذهب بصحبتك لنا ، ونحن على مخالطتك حريصون . لا نريد الخسران ليربح غيرنا .

ابن أبي ليلى :

أيد الله الامير . من ذا الذي يخلّي جوهرة ثمينة يعرف قيمتها ؟

ابن المقفع :

لكما الشكر .. اخجلتما شخصي ، ايها الفاضلان . هداني المولى الى العمل بما أعلم ، وهدى الناس جميعا الى سواء السبيل .

عيسى :

انه سميع مجيب !

ابن المقفع :

لست أطمع في صحبة الملوك . ولكني أرى

أن أكثر الشرور التي تصيب الرعية انما تصيبها من صحابتهم .

عيسى :

الامر كما تقول يا ابا عمرو . وكيف السبيل الى اصلاح صحابة الملوك ؟

ابن المقفع :

ثمة وسائل لذلك . وسأكتب في هذا الباب رسالة ، ربما اعانت على رفع الظلم ، وابعدت بعض أهل السوء من صحابة الملوك . وسأسميها « رسالة الصحابة » .

ابن أبي ليلى :

يا ابا عمرو ، هل قالت الحكماء شيئا في أفضل وسيلة للعيش الآمن ؟

ابن المقفع :

سئل كسرى انو شروان : كيف للمرء أن يعيش آمنا ؟ قال : ان يكون للذنوب خائفا ، ولا يحزن من المقدور الذي لا بد ان يصيبه !

ابن ابي ليلى :

رزق الله أمتنا ملوكاً عادلين ، وهدانا الى

صواب الرأي !

عيسى بن علي :

(يقف فيقف من في المجلس):أما وقد أصبنا من غذاء العقول الكثير ، فاني ادعوك يا ابا عمرو مع السادة الى تناول الغداء في بيتي .

ابن المقفع :

أعزّ الله الامير ، لست اليوم للكرام أكيلا .

عيسى بن علي :

(بتعجب) : ولِمَ ، يا ابا عمرو ؟!

ابن المقفع :

لأني مزكوم ، والزكمة قبيحة الجوار ، مانعة من عشرة الاحرار ...

عيسى :

لله درك يا أبا عمرو ! من أدّبك هذا الأدب؟

ابن المقفع :

نفسي أيها الامير : اذا رأيت من غيري حسنا أتيته ، وان رأيت قبيحا أبيته .

ابن أبي ليلى :

صدقت يا ابا عمرو ! لم تقل عن عبث في

كتابك « الادب الصغير » : معلّم نفسه ومؤدبها أحق بالاجلال والتفضيل من معلم الناس ومؤدبهم.

عيسى :

وكيف يؤدب المرء نفسه ، يا ابا عمرو ؟ هل وضعت الحكماء لذلك معيارا ؟

ابن المقفع :

«على العاقل أن يعرف ان الرأي و الهوى متعاديان. وعلى العاقل ، اذا اشتبه عليه أمران فلم يدر في أيهما الصواب ،أن ينظر أهواهما عنده فيحذره».

عيسى :

الحكمة ضالة المؤمن . نعم المعيار . معيار العقل !

ابن المقفع :

الحكمة قول وعمل معا ، وكما ان كلام الحكمة يونق الاسماع . فكذلك عمل الحكمة يروق العيون والقلوب .

المشهد الثاني

المكــان : دار ابن رامين ، تاجر قيان ، بالكوفة .

الاشخاص :

ابن المقفع
محمد بن الاشعث
اسماعيل الاسدي
معن بن زائدة
رَوْح بن حاتم
يحيى بن زياد الحارثي
مطيع بن اياس
والبة بن الحباب
عمارة بن حمزة
سعيد بن سلم .

• • •

ابن رامين :

اهلا وسهلا ، بسراة القوم ، كتابا وشعراء ! اهلا بظرفاء الكوفة والعراق !

مطيع :

السلام على ابن رامين ، وعلى بيته : مجمع الظرف ، وفاتنات القيان ، وربات الغناء .

ابن المقفع :

قالت الحكماء : من لا اخوان له لا أهل له . وقد قصدنا اخواننا الكوفيين من البصرة . لقد لجّ بنا الشوق اليهم ، وإلى مجلس ابن رامين جامع شملهم ، ومفرح قلوبهم .

ابن رامين :

البيوت بغير ضيوف قبور ، والمرء كثير بأصدقائه ، ولولا اخوتكم لافتقدنا طعم العيش ولذته . شرفت الدار بقدومكم !

معن بن زائدة :

لا ترحب الدار الا بنزلائها ؛ والعيش كنز ناقص . ينبغي ان تسخّر له جميع كنوز الدنيا . ولا قيمة لامرىء الا اذا صان نفسه من الخنى ، وبذل ليفرح غيره . اليس الامر هكذا يا ابا عمرو ؟

ابن المقفع :

بالحق نطقت يا سيد شيبان . وانما انت تصدر في رأيك عن حياة كريمة تحياها . ولقد بذلتَ المال والمهجة . فذهب المال في وجهه ، وبقيت مهجتك لتحيا بها مهج !

معن بن زائدة :

انك ، يا ابا عمرو . تنسب الي امورا بزّني فيها جميع الحاضرين الكرام وغيرهم . ووالله انك لتسير بأخبار وفائك وكرم خلقك الركبان ؛ وانك لترتاد مجالس الطرب ، وتحضر مجالس الظرفاء المسرفين في ظرفهم احيانا ، فلا تخرج

عن رصانتك .

ابن المقفع :

لقد بالغتم ، ايها القوم ! نشدتكم الله ان تكفوا .

مطيع :

هذا غيض من فيض كرمك ؛ ما فتئت تتفقد السراة والاخوان بما بين الخمسمائة الى الالفين من الدراهم .

ابن المقفع :

يا مطيع ! قلت : كفوا ، فهلا فعلتم ؟

عمارة بن حمزة :

يا ابا عمرو ! انها فرصة عرضت لتجاذب اطراف الحديث . ولقد حملت جميلك في قلبي ، فضاق به .

(ابن المقفع يطرق محدقا بالارض) .

عمارة :

(متابعا): كان اخونا الكاتب الحكيم ابو عمرو في داري بالكوفة ، ذات يوم ، اذ ورد علي كتاب وكيلي بالبصرة ؛ يعلمني ان ضيعة

مجاورة لضيعتي تباع ، وان ضيعتي لا تصلح إن ملكها غيري ، وان اهل البصرة بذلوا لصاحبها ثلاثين الف درهم ، واني إن لم ابتعها ، فالوجه ان ابيع ضيعتي !

معن بن زائدة :

لا سمح الله ! الكرام يقيلون عثرات الكرام .

عمارة :

وابو عمرو أجبرُ الناس لعثراتهم ! واليكم بيان الامر : قرأت الكتاب وقلت : ونحن الى البيع احوج . ثم كتبت الى وكيلي ببيع ضيعتي في البصرة . ما اعجب هذا ! وكيلنا يشير علينا بالابتياع ، مع الاضاقة والإملاق ، وموافاتي الى الكوفة . لله در الكرام ، ايها الاخوان . (يتوقف عن الكلام متنهدا) .

رَوح بن حاتم :

اكمل ، يا عمارة . وما علاقة ابي عمرو بكل هذا ؟

عمارة :

سمع ابو عمرو كلامي هذا وشهد تعجبي . ثم انصرف الى منزله . وبعد مدة ورد علي كتاب من وكيلي يقول فيه : نفذنا رغبتكم،وقد صارت لكم ضيعة نفيسة !

الجماعة :

سبحان الله !

عمارة :

فلما انهيت قراءة الكتاب ، اكثرت التعجب ولم اعرف السبب . فسألت عمن حضر عند ورود كتاب الوكيل ، فقيل لي : ابو عمرو روزبه بن داذويه ؛ فعلمت انه من فعله . ثم اعلمني الوكيل انه وردته رقعة مني تقول : اني قد كنت كتبت اليك ببيع ضيعتي ، ثم حضرني مال ، وقد انفذت اليك سفتجة بثلاثين الف درهم ، فابتع الضيعة المجاورة ولا تبع ضيتي ، وأقم بمكانك .

يحيى بن زياد الحارثي :

لله در المروءة !

عمارة بن حمزة :

لم تنته مكرمته عند هذا الحد . فقد صرت اليه بعد ايام وقلت له : بعثت بتلك الثلاثين الف درهم الى الوكيل . وكنا اليها ههنا أحوج ؛ قال : فإن عندنا فضلا . وبعث الي بعد ذلك بثلاثين الفا أخرى !

ابن المقفع :

رغبت اليك ان تكف . يا صاح ! على ان الكرم ليس ببذل الفلوس . وانما ببذل النفوس .

عمارة بن حمزة :

كدت تفعل ذلك . يا ابا عمرو . وقصتك مع «عبد الحميد» الكاتب سمرَ البوادي والحواضر !

ابن المقفع :

دولة عرضت . وايام مضت ... الدهر حبلى ليس يُدرى ما يلد .

محمد بن الاشعث :

انك يا عمارة لمن السراة الاجواد الاشراف . وان فيك لخصالا تجاري خصال الشريف ابي

عمرو . اليس يخبز في دارك، كل يوم ، الفا رغيف ، يؤكل منها الف وتسع مئة وتسعة وتسعون رغيفا ، ثم تأكل انت رغيفا واحدا ، وتتوهم انه حرام عليك ، وتستغفر الله ؟

معن بن زائدة :

الكريم من بذل ما معه لا ما فضل عنه .

ابن المقفع :

قالت الحكماء : الاخوان لا يستأثر احدهم على صاحبه بمال ولا ملك .

ابن رامين :

(متوجها الى محمد بن الاشعث) : لو طال حديثكم مدى الدهر لما اصابنا منه ملل . لقد حان وقت الطرب . يا محمد ! لو سألت سلامة الزرقاء ان تشنف آذان الاخوان بغنائها ؟

اسماعيل بن عمّار الاسدي :

اي والله! فالغناء يفعل في الارواح فعل الدواء في الاجساد ...

(يقف محمد ليستدعي سلامة فيبادره اسماعيل بقوله) :

اسماعيل :

ما آخر ما قلت في سلامة يا محمد ؟

محمد بن الاشعث :

وهل ينتهي القول في سلامة يا اسماعيل ؟

إسمع :

صاح إني عاد لي ما ذهبا
من هوى هاج لقلبي طربا
أذكرتني الشوق سلامة أن
لم أكن قضّيت منها أربا
واذا ما لام فيها لائم
زاد في قلبي لحبي عجبا
من ذوات الدل ، لو دب على
جلدها الزر لأبدى ندَبا

فئة من الجماعة :

لا فض فوك !

معن بن زائدة :

ان من البيان لسحرا !

والبة بن الحباب :

نشدتك الله ، يا سيد شيبان ! دعك من البيان

(ويلتفت الى ابن الاشعث قائلا) : علينا بذات دلك . يا ابن الاشعث !

ابن رامين :

(متوجها الى والبة) لله درك ، يا شاعر الكوفة الظريف ! انك لا تطيق صبرا على القيان والغناء . (ملتفتا الى ابن الاشعث) : عجل يا محمد والا عارض والبة غزلك بقصيدة في هجائك . (يضحك الجميع) .

(تدخل ، بعد قليل ، سلامة بثياب حريرية طويلة ، وهي تستر جبينها وذقنها بملاءة شفافة بيضاء وقد ابرز جمال عينيها كحل ثمين ، وتنحني محيية باباء ، قائلة) :

سلامة :

السلام على السادة الاخيار !

الجماعة :

وعلى سيدة الغناء والطرب السلام !

(تغني سلامة الابيات التالية لبشار بن برد) :

وذات دل كأن البدر صورتها،

باتت تغني عميد القلب سكرانا :

« إن العيون التي في طرفها حور
قتلننا ، ثم لم يحيين قتلانا »
فقلت: أحسنت يا سؤلي ويا أملي
فاسمعيني ، جزاك الله احسانا
« يا حبذا جبل الريان من جبل ،
وحبذا ساكن الريان من كانا »
قالت: فهلا ، فدتك النفس ، أحسن من
هذا لمن كان صب القلب حيرانا :
« يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة ،
والأذن تعشق قبل العين احيانا »
فقلت: أحسنت ، انت الشمس طالعة ،
أضرمت في القلب والاحشاء نيرانا ،
فأسمعيني صوتا مطربا هزجاً ؛
يزيد صبا محبا ، فيك أشجانا :
يا ليتني كنت تفاحا مفلجـــة ،
أو كنت من قضب الريحان ريحانا
حتى اذا وجدت ريحي فأعجبها ،
ونحن في خلوة ، مثلت انسانا

فحركت عودها ، ثـــم انثنت طربـــا ،
تشدو به ، ثم لا تخفيه كتمانا :
« أصبحت أطوع خلق الله كلهـــم ،
لأكثر الخلق لي في الحب عصيانا »
فقلت : أطربتنا ، يا زين مجلسنـــا ،
فهات ، إنك ، بالاحسان أولانا :
لو كنت أعلم أن الحب يقتلـــني ،
أعددت لي ، قبل ان ألقاك ، أكفانا .
فغنت الشرب صوتا مـــؤنقا رمـــلا ،
يذكي السرور ، ويبكي العين ألوانا
« لا يقتل الله من دامت مودتـــــه ،
والله يقتل اهــل الغدر أحيانـــا »

معن بن زائدة :

طاب فوك يا سلامة وما ترجع فيه !

الجماعة :

طاب فوك يا سلامة ، يا اميرة الطرب !

ابن المقفع :

الغناء جميل ، كصناعة الشعر ، وصناعة الكتابة ، والجمال دين الحكماء .

معن بن زائدة :

(يشير الى غلام واقف ويعطيه بدرة من الدراهم يضعها الغلام على طاولة بالقرب من سلامة ، فينثر بعض الدراهم على الارض) .

روح بن حاتم :

(يفعل ما فعل معن) .

ابن المقفع :

عهدة ضيعتي لك . يا سلامة ! فاما الدراهم فما عندي منها شيء ! (يشير الى غلامه): ائتني بصك ضيعتي يا رستم . وقدمه لسلامة .

(يبدو التعجب على وجوه الحاضرين) .

ابن رامين :

ما اجمل الاجتماع بالاخوان : ظرف ، وشعر ، وغناء ! أتعس الناس من عجز عن اكتساب الاخوان .

الفَصْلُ الثَّالِثُ

المشهد الاول

المكـــان : منزل سليمان بن علي بالبصرة سنة ١٣٧ هجرية

الاشخاص:

ابن المقفع
سليمان بن علي
عيسى بن علي
عبدالله بن علي

* * *

سليمان بن علي :

كيف السبيل الى الخروج من هذا المأزق ؟ اي ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ! ان خروج اخي « عبد الله » على ابن اخي الخليفة « المنصور » ، ومطالبته بالخلافة لنفسه سيجر علينا الويلات ... ليس بوسع احد ان يخمد غضب المنصور . بم تشير يا ابا عمرو ؟

ابن المقفع :

الدنيا ملأى بالمفاجآت ، أيها الامير . ان الملوك ، إن سخطوا عليك ، وانت في خدمتهم ، أهلكوك ، وان رضوا عنك تكلفت من رضاهم

ما لا تطيق . فكيف اذا نازعتهم صولجان الملك، وعزة السلطان ؟

النظر في حل لما طرأ ليس بالامر اليسير !

سليمان بن علي :

كان « عبد الله » واليا على الشام من قبل ابن اخيه امير المؤمنين « ابي العباس » . وقد وكل ابو العباس اليه ، قبل ان يتوفاه الله، غزو بلاد الروم . ما كان اعظم ثوابه لو عبر الدروب الى الروم ، عوضا عن أن يبايع لنفسه بالخلافة !

ابن المقفع :

اهم ما في الامر ان النزاع على السلطة ليس في مصلحة بني العباس ، وملككم لا يزال في أولى مراحله . يجب حسم هذا النزاع مهما كلف الامر ، أيها الامير .

سليمان بن علي :

نعم ، يجب وضع حد له بالحسنى . لكن أبا جعفر وجه الى عبد الله جيشا بقيادة ابي مسلم الخراساني ، ولن يستطيع عبد الله ان يصمد امام جيش المنصور . لقد تلقاه « عبد الصمد بن علي »

بالموصل ، فكان اول قتيل قتل بينهما أبو غالب ، كاتب عبد الله .

ابن المقفع :

ان النزاع على سدة الخلافة يعرّض وحدة الصف للانقسام . ومن شأنه ان يزعزع هيبتها من نفوس الناس . ويشجع الخارجين عن طاعتكم والثائرين بكم على الثورة .

سليمان بن علي :

أشرْ يا ابا عمرو ! اليس في كتب حكماء قومك مما تنقله الى العربية . او في كتبك . ما يُنتفع به فيما دهانا من الامر ؟

ابن المقفع :

« اذا كان سلطانك عند جِدّة دولة . فرأيت امرا استقام بغير رأي . واعواناً جزوا بغير نيل . وعملا أنجح بغير حزم . فلا يغرّنك ذلك ، فلا تستنم اليه . فان الامر الجديد تكون له مهابة في النفوس .. ثم تصير الشؤون الى حقائقها واصولها. فما كان من الامر بني على غير اركان وثيقة ، ولا عماد محكم اوشك ان يتداعى ويتصدع » .

سليمان بن علي :

بالحق نطقت ، يا حكيم العصر . الحكماء عماد الدولة . والحكماء الاصيلون لا يكيلون الثناء لذوي السلطان ، حياء وضنا بالكرامة .

ابن المقفع :

ومن علامات السلطان البصير ان يعرفهم ، وينتفع برأيهم واخلاصهم للحق .

(يدخل عيسى بن علي ، فيقف سليمان وابن المقفع) .

عيسى بن علي :

السلام عليكما .

سليمان وابن المقفع :

وعليكم السلام !

سليمان بن علي :

كنا ، يا اخي ، نسوق الحديث على اخينا عبد الله ووجه التدبر لهذا الامر الذي طرأ .

عيسى :

اي : ما كان ذلك بالحسبان !

(يفتح الباب ويدخل عبد الله بن علي وصحبه من قواد ومرافقين) .

سليمان وعيسى :

عبدالله ؟ الحمد لله الذي ردك سالما . اهلا بالسادة . تفضلوا ..

عبد الله :

الامر لم ينته بعد . ان ابا جعفر لا يتناسى الضغائن ، ويصح فيه ما قاله «زفر بن الحارث» :

« فقد ينبت المرعى على دِمَن الثرى

وتبقى حزازات الصدور كما هيا » !

يجب أن أجهز نفسي من جديد .

سليمان بن علي :

لا بل ينبغي حسم هذا النزاع . المنصور ابن اخينا ، ونحن في مستهل ملكنا ، والمناوئون لبني العباس كثر يتربصون بنا للانقضاض علينا .

عبد الله :

ان جانب ابي جعفر لا يؤمن !

عيسى بن علي :

الرأي أن نسرع في اعادة الامور الى ما كانت عليه بينك يا اخي وبين امير المؤمنين ، مهما كلف الامر .

سليمان :

وهل انفتح لك باب بهذا الصدد ؟

عيسى :

يسفر بيننا وبينه من يقرّب ما تباعد ويرأب ما صدع .

سليمان :

أنفذ كاتبي « عمر بن ابي حليمة » في ذلك ، فيحمل المنصور على اعطاء عمه الامان .

عبد الله :

المنصور لا يرعى للأمان حرمة ، وسيتخذ منه شركا للإيقاع بي .

عيسى :

نحكم معانيه وعباراته ونتشدد فيه ، ونحترس من كل تأويل يجوز ان يقع فيه ، فلا ندع

للمنصور فرصة لنفسه . وسنكل هذه المهمة لأبي عمرو ابرع كتاب الزمان .

(يشير الى ابن المقفع) .

ابن المقفع :

الرأي رأيكم .

سليمان :

تسلم بعد حين نص الامان من ابي عمرو ، يا « عمر » . ثم امض الى بغداد ! ولا تزل بأمير المؤمنين حتى يرضى باعطاء الامان لعمه .

المشهد الثاني

المكان : قصر الخلافة ببغداد

المشهد : الحرس على الابواب ، والحاجب الاكبر في مدخل الحجرة ، سيّاف ونِطْع إلى جانب المنصور . عمر بن أبي حليمة في حضرة الخليفة ، يتحادثان فلا يُسمع ما يقولان .

الاشخاص :

الخليفة المنصور
عمر بن أبي حليمة
أبو أيوب المورياني

***

الخليفة المنصور :

حسنا ، حسنا ، يا عمر . لقد رضينا عن رغبة اعمامنا ما داموا حريصين على ملك بني العباس من الضياع . وكيف يضيع ملكنا ، وقد نصرنا الله على اعدائه وأعدائنا ، ومكن لنا في الارض ، واستخلفنا ، تعالى ، على عباده ؟

عمر بن أبي حليمة :

(واقفا بين يدي المنصور) اطال الله بقاء امير المؤمنين ، ومد ظل سلطانه على الخافقين ! انما يجمل بسراة القوم ان يحلموا . وبعظمائهم ان ينسوا الزلة ، ولكنكم معدن الحلم ، ومنبع الغفران والكرامات .

أيأذن امير المؤمنين بتقديم نسخة الامـــان لحضرته ؟ ثم بالانصراف ؟

الخليفة المنصور :

(مشيرا الى ابي ايوب المورياني وزيره) :

تسلم الكتاب من الرسول ، يا أبا أيوب .

ابو ايوب :

امر مولاي !

عمر بن أبي حليمة :

(يتقدم الى الوزير . فيقف هذا ويتناول الرقعة) : لا زالت بركات امير المؤمنين متصلة بسيدي الوزير .

ابو ايوب :

حفظكم الله .

الخليفة المنصور :

بوسع الرسول ان ينصرف ، أيها الوزير .

(يخرج عمر بن أبي حليمة) .

الخليفة المنصور :

اقرأ نص هذا الامان ، أيها الوزير .

ابو ايوب :

بسم الله الرحمن الرحيم .

أمان من امير المؤمنين ابي جعفر المنصور لعمه عبد الله بن علي .

المنصور :

إنتقل فورا الى الشروط .

ابو ايوب :

(متابعا) : وإن أنا نلت عبد الله بن علي أو أحدا ممن أقدمه معه بصغير من المكروه أو كبير ، أو أوصلت الى أحد منهم ضررا . سرا أو علانية ، على الوجوه والاسباب كلها ، تصريحا او كناية او بحيلة من الحيل . فأنا نفيّ من محمد بن علي بن عبد الله . ومولود لغير رشدة ، وقد حلّ لجميع أمة محمد خلعي وحربي والبراءة

مني ، ولا بيعة لي في رقاب المسلمين ، ولا عهد ولا ذمة .

(يتجهم وجه المنصور ويقف ، فيتوقف ابو ايوب عن القراءة) .

المنصور :

(بحدة وغضب) : إمض يا ابا ايوب ،إقرأ !

ابو ايوب :

وقد وجب عليهم الخروج من طاعتي ، واعانة من ناوأني من جميع الخلق ، ولا موالاة بيني وبين احد من المسلمين .

وكتبت بخطي ولا نية لي سواه ، ولا يقبل الله مني الا اياه ، والوفاء به .

المنصور :

هكذا ؟ ان وراء الأكمة ما وراءها ! لقد حسبوا لكل شيء حسابا ، وجعلوا وراء كل باب بابا .

اذا وقعت عيني عليه فهذا الامان له صحيح : لأني لا آمن أن أعطيه اماناً قبل رؤيتي له ، فيسير في البلاد . ويسعى علي بالفساد (تنبسط اسارير

وجهه كأنما هو يحكم حيلة يرجوان تنجح) : من يكتب له هذا الامان ؟

سفيان بن معاوية :

ابن المقفع ، كاتب الامير عيسى بن علي ، يا امير المؤمنين !

المنصور :

(غاضبا) : فما أحد يكفينيه ؟ لقد تصعب في احتياطه فيه ! ما أبرعه كاتبا ...

ابو ايوب :

براعة في مساندة الخارجين على طاعة امير المؤمنين ...

سفيان بن معاوية :

انه ، يا مولاي ، صاحب مكائد ودسائس .

المنصور :

(بعد هنيهة) : غلبنا بنو مروان بثلاثة اشياء : بالحجّاج ، وبعبد الحميد الكاتب ، والمؤذن البعلبكي . وغلبنا عبد الله بن علي ورهطه بابن المقفع !

(ينصت برهة ثم يقول) : ولكن ، الى حين !

ألم أقل لك ، يوما ، يا ابا ايوب ، ان ابن المقفع أكتبُ خلق الله ؟

يا سفيان ! توجه الى البصرة واضغط على عيسى وسليمان وجماعتهما ، وضيق عليهم حتى يشخصوا بعبد الله بن علي الينا . سأوليك على البصرة وأعزل عمي سليمان بن علي .

سفيان بن معاوية :

امر مولاي ، وفقني الله الى خدمتكم !

(ينصرف الجميع ، ويبقى المنصور وحده ، فيأخذ بالمشي في الديوان جيئة وذهابا ، ثم يتوقف ، ويقول مناجيا نفسه) :

المنصور :

لن ينجو مني عبد الله ولا أصحابه ؛ اما ابن المقفع فحسابه فيما بعد . سأقتل أصحاب عبد الله ، وأودعه السجن ؛ ثم اذا نسي الناس امره ، ولو استغرق ذلك سنوات ، أمرت بوضعه في بيت أساسه ملح ، حتى اذا جرى في أساسه الماء سقط عليه فمات قضاء وقدرا ! نعم ، قضاء وقدرا !

(ينظر الى البعيد) ...

المشهد الثالث

اسلام ابن المقفع

المكان : في قصر عيسى بن علي بالبصرة

الزمان : مساء .

الاشخاص :

عيسى بن علي

ابن المقفع

ابن ابي ليلى

* * *

ابن المقفع :

أيد الله الامير ! اني مقبل على امر خطير ، وقد أردت أن يكون للامير يد فيه ، اذا أذن .

عيسى بن علي :

حبا وكرامة ، يا ابا عمرو ! ان مكانتك عندنا لا تعدلها مكانة ، ومنزلتك في قلوبنا تفوق كل منزلة . ويسعدنا ان تكون لنا يد فيما انت مقبل عليه ، لانك لا تهجم الا على الخير ، ولا تقدم الا على الشيم الرفيعة .

ابن المقفع :

بسط الله ظلكم الممدود ! الامر ايها الامير . ان الاسلام قد دخل في قلبي . واريد ان أسلم على يدك .

عيسى :

لقد اثلجت صدري ، يا ابا عمرو . وفرحتني اضعاف ما فرحت لسنين خلت ! ان الله الذي انزل الفرقان رحمة وهدى للعالمين تولاك بلطفه . « ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله . والله رؤوف بالعباد » . صدق الله العظيم !

ولكن يا ابا عمرو . كيف هداك الله الى الاسلام ؟

ابن المقفع :

لا يثبت دين المرء على حالة واحدة ابدا ، ولكنه لا يزال إما زائدا وإما ناقصا .

عيسى بن علي :

كلامك فيض من الحكمة والموعظة والمعرفة باخلاق الناس وطبائعهم وعاداتهم . « يؤتي

الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا »

ابن المقفع :

لا خصومة بين الدين والعقل ، فالحق لا يضادُّ الحق ، بل يؤيده ويشهدله . والدين معياره العمل لا القول ، لانه بالاعمال تَبين الاخلاق ، وترى تعاليم الدين وقد تجسدت . اما الذين لا يجاوزون في امور الدين السنتهم ، فيمجدون دينهم ويذمون دين الآخرين ، فبالهوى يحتجون وبه يتكلمون لا بالعدل .

عيسى :

« ليس عليك هدُيهم ، ولكن الله يهدي من يشاء » ! وما العدل ، يا ابا عمرو ؟

ابن المقفع :

العدل في ان يقتصر المرء على كل عمل تشهد النفس على انه صحيح ، ويوافق كل الاديان : فيكفّ يده عن الضرب والقتل والسرقة ، ويحصن فرجه من الفجور ، ويزجر نفسه عن الكبر والغضب ، وينزّه قلبه عن الحقدوالبغض والخيانة ،

ويصون لسانه عن الكذب والبهتان والغيبة والنميمة وكل امر مكروه . ويضمر في نفسه ان لا يبغي على احد ، ولا يكذب بالبعث ولا القيامة ولا الثواب ولا العقاب .

عيسى :

طاب فوك ، يا ابا عمرو ! ولكنك ذكرت نصيب العقل من الدين ، ولم تحدد نصيب العاطفة والعبادة والتقوى . لم تذكر « الذين يقولون : ربنا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار » ؛ ولم تذكر المستغفرين بالأسحار ، الراكعين الساجدين .. فهذا كله كذلك من الدين .

ومهما يكن من امر ، فليكن اسلامك بمحضر من القواد ووجوه الناس ، فاذا كان الغد فاحضر . وليكن اسمك بعد الآن « عبد الله » وكنيتك « ابا محمد » .

ابن ابي ليلى :

الاسلام يجبُّ ما قبله ، يا ابا محمد ، قولا ومسلكا ، فما عساك فاعلا بما نقلته من كتب المجوس ؟

ابن المقفع :

قال النبي محمد: « اطلبوا العلم ولو في الصين ». وليس كل من خالفنا رأيا أو دينا مدخول الرأي سخيفه !

ابن ابي ليلى :

ولكن ذيوع مثل هذه الكتب من شأنه أن يصرف الناس عن تعاليم الدين الحنيف ، ويزين لهم تواريخ الامم التي لم يهدها الله ، واقوال حكمائها .

ابن المقفع :

ان الحكمة لا تصرف المؤمن عن دينه ، وهي ضالته ، اوصى بها الشرع وجعل الخير الكثير فيها ؛ ناهيك عن ان تعاليم الكتب التي نقلتها تدعو الى الخير والصلاح ، وترك المعصية . ألم ترَ ذلك في كتاب « كليلة ودمنة » ؟

ابن ابي ليلى :

ان ما في « كليلة ودمنة » من النوادر والقصص وحيل الحيونات يستهوي قلوب الناس فيميلون بذلك عن الكتاب والسنة .

ابن المقفع :

نشدتك الله يا ابن ابي ليلى ! لا تنل من هذا الكتاب الذي مليء حكمة ، وشحن عبرا ، واتخذه ملوك الهند وشاهات الفرس نبراسا في الحكم ، فكان صلاحا للسلاطين ، وضمانة للرعية منذ آلاف السنين .

ابن ابي ليلى :

الامر ان ابناء امتنا لم يألفوا هذا اللون من الادب ، فهو دخيل عليهم .

ابن المقفع :

وهل كتب على الناس ان يستقوا دائما من جدول واحد ؟ او ان يأكلوا دائما وابدا الطعام ذاته ؟ ألست ترى الناس اليوم ، نوعوا في ملبسهم ومأكلهم ومشربهم ومركبهم ؟ فأحرِ بهم ان يغنوا عقولهم بالوان جديدة من الادب ، واصناف كثيرة من العلم ، ولا سيما ان الكتاب العزيز اوصى بذلك ، والحديث الشريف ندب اليه !

ابن ابي ليلى :

تغيير الطبائع ليس بالامر اليسير .

ابن المقفع :

الحياة تغير نفسها بنفسها !

ابن ابي ليلى :

اتعتقد يا ابا محمد ، ان القصص التي جاءت في كتابك هذا وفي سائر كتبك تسهم في تغيير طبائع الناس ؟

ابن المقفع :

لقد نبهت قارىء « كليلة ودمنة » في « باب عرض الكتاب » على ان يديم النظر فيه من غير ضجر ، ويلتمس جواهر معانيه ، ولا يظن ان نتيجته انما هي الإخبار عن حيلة بهيمتين ، او محاورة سبع لثور . فينصرف بذلك عن الغرض المقصود .

عيسى بن علي :

حقا ، ان في ذلك لفائدة للناس ينتفعون بها في الدنيا والآخرة ، ولكن ما الغرض المقصود ، يا ابا محمد ؟

ابن المقفع :

الغرض المقصود هو اصلاح الافرادوالجماعات .

وقد قصد في الكتاب الى أربعة اغراض :

أحدها ما قصد فيه الى وضعه على ألسنة البهائم غير الناطقة من مسارعة أهل الهزل من الشبان الى قراءته ؛ فتستمال به قلوبهم . لأن هذا هو الغرض بالنوادر من حيل الحيوانات .

والثاني اظهار خيالات الحيوانات بصنوف الاصباغ والالوان ليكون انسا لقلوب الملوك ، ويكون حرصهم عليه أشد . للنزهة في تلك الصور .

والثالثة ان يكون على هذه الصفة فيتخذه الملوك والسوقة . فيكثر بذلك انتساخه ، ولا يبطل فيخلق على مرور الايام . ولينتفع بذلك المصور والناسخ ابدا .

والغرض الرابع . وهو الاقصى ، مخصوص بالفيلسوف خاصة .

عيسى بن علي :

الغرض الاقصى مخصوص بالفيلسوف خاصة ... أمر يدعو الى التأمل .

ابن المقفع :

اني مظهر للناس هذا الغرض ، ان شاء الله . لا بد من التصريح بالاصلاح بعد التلميح . لقد آن أن توضع الامور في نصابها . وقد وضعتها في « رسالة الصحابة » التي سأذيعها في الناس عاجلاً . فربما صلحت بها اوضاع السياسة والاجتماع والرزق .

عيسى بن علي :

جُزيت خيرا يا ابا محمد.

ابن المقفع :

قلت في كتاب كليلة ودمنة : من طلب الجزاء على الخير من الناس كان حقيقا ان يحظى بالحرمان ، اذ يخطىء الصواب في خلوص العمل لغير الله تعالى ، وطلب الجزاء من الناس .

عيسى بن علي :

« ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء » . صدق الله العظيم .

الفصل الرابع

المشهد الاول

المكان : قصر الخليفة المنصور .

الزمان : ١٤٢ هـ – ٧٥٩ هـ .

* * *

ابو أيوب المورياني :

حفظ الله امير المؤمنين ومدّ ظله على الارض !
اني آليت على نفسي الا انقل اليه سوى الاخبار المفرحة .

الخليفة المنصور :

(بحدة ودون امهال):ما الخبر يا ابا ايوب ؟
أفصح .

ابو ايوب :

بدعة جديدة من بدع ابن المقفع ، يا مولاي!
لم يكتف هذا الرجل بأن خدع الناس بإسلامه،
وهو يبطن الكفر بدين الله .

ان غروره ودسه أدّيا به الى وضع رسالة وسمها «رسالة الصحابة»،واجترأ فيها على نصح امير المؤمنين !

المنصور :

أيّ صحابة أراد أيها الوزير ؟

ابو ايوب :

صحابتك يا امير المؤمنين : عبدك ووزيرك ، قوادك . ولاتك . المقربين اليك .

المنصور :

وماذا يتناول في هذه الرسالة ؟

ابو ايوب :

انه، سامحه الله، يغمز من سياستك أهلَ العراق والشام ومعاملة جند خراسان . ويعيب صحابة الخليفة ، ويسفّه الاحكام الشرعية الجارية بالعدل في مملكتك ، ويدعي اصلاح امور الخراج . واخلاق العامة . وغير ذلك ...

المنصور :

(غاضبا):أرسل من يحضر الرسالة على الفور !

ابو ايوب :

أطال الله بقاء امير المؤمنين . اني واقف على

كل امر يجري في أراضي هذه الخلافة المحروسة، وقد احضرتها لكم .

(يخرج من جيبه اوراقا مكدسة)

المنصور :

(ملتفتا الى كاتبه ابي الخصيب) : اقرأها علي يا ابا الخصيب . وانفذ الى المهم منها .

ابو الخصيب :

« ان امير المؤمنين يجمع مع علمه ، المسألة والاستماع . وفي الذي قد عرفنا من طريقة امير المؤمنين ما يشجع ذا الرأي على مبادرته بالخبر فيما ظن انه لم يبلغه اياه غيره ، وبالتذكير بما قد انتهى اليه . ولا يزيد صاحب الرأي على ان يكون مخبرا او مذكّرا ، وكل عند امير المؤمنين مقبول . ان شاء الله .

المنصور :

إمضِ إلى لب الرسالة ، ايها الكاتب .

ابو الخصيب :

سمعا وطاعة . يا امير المؤمنين . يوصي ابن المقفع امير المؤمنين بجند خراسان ويقول فيهم : انهم « جند لم يدرَك مثلهم في الاسلام» .

ثم يوصي بايجاد امان تبين فيه واجباتهم وحقوقهم ، فيحاسبوا بالرجوع اليه .

المنصور :

ثم ماذا ؟ يا ابا الخصيب .

ابو الخصيب :

يوصي الكاتب بأن لا يولى احد منهم على جباية الخراج لان ولاية الخراج مفسدة للمقاتِلة .

المنصور :

(يطرق فيتوقف ابو الخصيب عن القراءة) :
ولاية الخراج مفسدة للمقاتلة !

ابو ايوب :

كلمة حق اريدَ بها باطل ...

المنصور :

تابع !

ابو الخصيب :

يدعو ابن المقفع الى اقامة ديوان خاص تُجمع فيه اسماء الجند ، والى تعيين وقت محدد لدفع ارزاقهم .

المنصور :

ولم لا يجري ذلك ؟

ابو ايوب :

ان الجند اذا ما كفوا ، تمردوا . ان ما يراه لدس ظاهر .

المنصور :

امض في القراءة .

ابو الخصيب :

يذهب صاحب الرسالة الى ضرورة تقصي احوال الجند ، والوقوف على اخبارهم وباطن امرهم ، وان يُنتدب لذلك الثقات . لاستئصال الشر قبل وقوعه .

المنصور :

(ملتفتا الى ابي ايوب) : هذا الكلام يخالف رأيك في الدس !

(ملتفتا الى ابي الخصيب) : أتلُ ما تبع .

ابو الخصيب :

يقول ان الغلوّ حمل بعض قواد امير المؤمنين

على القول ان امير المؤمنين لو امر الجبال ان تسير لسارت ، ولو امر ان تُستدبر القبلة بالصلاة فعل ذلك .

ابو ايوب :

اذنك يا امير المؤمنين ! وما الذي يغيظه في ذلك ؟ ألعل هذا الزنديق يطمع في امارة المسلمين؟!

(يقول هذه الجملة ساخرا ، محرضا)

ابو الخصيب :

ثم يقول : ثمة مبدأ مشهور وهو « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » .

(يضاعف المنصور من انتباهه)

« ان قوما فسروا هذا المبدأ تفسيرا معوجا.امير المؤمنين لا يطاع في عزائم الفرائض والحدود التي لم يجعل الله لاحد عليها سلطانا . في حين انه يطاع فيما لا يطاع فيه غيره ، في الرأي والتدبير ، والامر الذي جعل الله ازمته وعراه بأيدي الأئمة ، في الغزو ومحاربة الاعداء . وامضاء الاحكام » .

ابو ايوب :

أذنك، يا امير المؤمنين! ان هذا الرجل يغري الناس ، من طرف خفي ، بنقض طاعتك . « يا ايها الذين آمنوا ، أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » .

المنصور :

(غاضبا) : انه من نازعنا عروة هذا القميص أجزرناه خبيّ هذا الغمد !

(يلتفت إلى أبي الخصيب) :

علام يسوق الكلام بعد ذلك ؟

ابو الخصيب :

ينتقل الى أهل العراق ويوصي امير المؤمنين بهم خيرا « لانهم شيعته، ولان فيهم من الفقه والعفاف والالباب والالسنة شيئا لا يكاد يشك انه ليس في جميع من سواهم من أهل القبلة مثله .

أما الذي أزرى بأهل العراق فهو ان ولاة العراق السابقين كانوا اشرار الولاة ، واعوانهم

كانوا اشرار الأعوان . ولم تجد دولة بني العباس سوء هؤلاء الاعوان ، فلو نحيّ هؤلاء ، وجيء بأهل الفضل لزاد ذلك في صلاح الامور» .

ابو ايوب :

هو يظن أن الفضل في المغرورين من امثاله ، وفي المتهمين بدينهم .

ابو الخصيب : (قارئاً)

ان الاحكام الشرعية نهبى للتناقض العظيم ! وربما حدث هذا في المدينة الواحدة كالكوفة ، فيُستحلّ في ناحية منها ما يحرّم في ناحية اخرى ! فلو نظر في ذلك امير المؤمنين وأمضى في كل قضية رأيه الذي يلهمه الله ، ويعزم عليه عزما وينهى عن القضاء بخلافه — وكتب بذلك كتابا جامعا ، لاستقام الامر .

المنصور :

رأي ليس ببعيد عن الصواب ، لكننا عقدنا النية عليه منذ مبايعتنا بالخلافة .

ابو ايوب :

لو اذن امير المؤمنين لذكرت ان اصحاب

رسول الله اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب !

ابو الخصيب :

ينتقل الكاتب بعد ذلك الى الكلام على أهل الشام ويرى «أن يستميل امير المؤمنين منهم من صلح ووفى ، فيتبعهم غيرهم ؛ وان ينفق عليهم ما جمع من بلادهم . فانه ان فعل امير المؤمنين ذلك رجوت الا يكون منهم نزوات ولا وثبات على الدولة ، فان فعلوا رجوت ان تكون الدائرة لامير المؤمنين عليهم الى آخر الدهر» .

(يتأمل المنصور ما تلي على مسمعه ، فيظهر الامتعاض على وجه ابي ايوب المورياني) .

المنصور :

وال القراءة .

ابو الخصيب :

يحمل كاتب الرسالة على صحابة الخليفة ممن اشار اليهم سابقا ، ويقول :«انه بسببهم صارت صحبة الخليفة امرا سخيفا ، فطمع فيه الاوغاد .

وما رأينا اعجوبة قط اعجب من هذه الصحابة !

يؤذن لهم على الخليفة قبل كثير من ابنـاء المهاجرين والانصار ، وقبل قرابة امير المؤمنين واهل بيوتات العرب» .

ابو ايوب:

يا سبحان الله ! هذا نيل من امير المؤمنين ، جلّ عن ذلك . انما يختار امير المؤمنين صحابته . معاذ الله ان تفرضهم عليه الظروف ! انه يتكلم يا امير المؤمنين بلسان من حرم من شيء يتحرق لنيله .

المنصور :

اقرأ ما تلا ذلك .

ابو الخصيب :

«وقدعلمنا علما لا يخالطه شك ان عامة قط لم تصلح من قبل انفسها ، وانها لم يأتها الصلاح الا من قبل إمامها .. فاذا جعل الله فيهم خواص من اهل الدين والعقول كان في ذلك بلاغا الى الخير كله . وحاجة الخواص الى الامام الذي يصلحهم

الله به كحاجة العامة الى خواصهم ، وأعظم من ذلك .

المنصور :

كفى ! كفى ! سئمنا نصح هذا الرجل ، ان الله اصطفانا قيّمين على شؤون هذه الامة وأيدنا بنور من عنده .

ابو ايوب :

انه ، يا امير المؤمنين ، يعيبكم ـ وقد برأكم الله من العيب ـ على اختيار صحابتكم . ونسي صحابته من عشراء السوء وزنادقة الكفرة من مثل : مطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد ، ووالبة بن الحباب ، وبشار بن برد ، وحماد عجرد . وليس من كتاب زندقة الا اصله هو !

المنصور :

اني اخاف أن تسير رسالته هذه في البلاد مسير سائر كتبه ! فانها منتشرة في النواحي تقبل عليها الخاصة والعامة .

ابو ايوب :

انها تحريض للناس على العصيان ، وتشويه

لحكم امير المؤمنين العادل . فهذا اللعين يزعم أنه بحاجة الى اصلاح وتقويم في حين ان الاعداء يتربصون بنا . فلو اذن امير المؤمنين لكفيته شر هذا الخارجي الجديد .

المنصور :

تدبّر الامر ، ولا تدع الرسالة تخرج الى النور . اني لم أنس بعد الامان الذي كتبه وتشدد فيه ...

ابو ايوب :

ستبقى رسالته في ظلام القبور ، يا امير المؤمنين ، سآمر بدفنهما معا ...

المشهد الثاني

المكان : منزل ابي ايوب المورياني

الزمان : في وقت متأخر من الليل .

***

ابو ايوب :

يا أبا الخصيب : يجب أن نقضي على ابن المقفع قبل أن يقضي علينا . ان الرسالة التي قرأت مركزة علينا . ونحن اقرب الصحابة الى امير المؤمنين ! وربما حمل ابن المقفع اعمام المنصور على التدخل في ذلك .

ابو الخصيب :

بمَ تشير ايها الوزير !؟ان ابن المقفع يمثل في منافستك الدور نفسه الذي مثله خالد البرمكي .

ابو ايوب :

لن أدعه . سأطيح به كما اطحت بخالد .. يا ابن الخبيثة ! خذها رسالة تقطع عليك دوران الدم في العروق . والخفقان في قلبك ! هلم يا ابا الخصيب . علي بالقلم والكاغد .

ابو الخصيب :

سمعا يا مولاي !

ابو ايوب :

اكتب لسفيان بن معاوية والي البصرة . وأعلمه أن الخليفة غاضب على ابن المقفع ، يريد ان تبقى رسالته في صحابة امير المؤمنين سرا دفينا ، وليست تبقى كذلك الا اذا دفن صاحبها معها .

ابو الخصيب :

وتعتقد يا مولاي انه فاعل ذلك ؟

ابو ايوب :

اذا علم انها رغبة امير المؤمنين . بادر الى الايقاع بابن المقفع فورا ؛ ان لسفيان يا ابا ايوب ثأرا على ابن المقفع .

ابو الخصيب :

وما هو ايها الوزير ؟

ابو ايوب :

ما فتىء ابن المقفع يغمز من قناة سفيان ؛ ويستصغر شأنه ؛ مستظهرا بأعمام الخليفة المنصور ، ولقد خدعه حين ولي سفيان على سابور مكان المسبّح بن الحواري ، وكان ابن المقفع كاتبا عنده ، فقد سفر بين الاثنين ، وماطل في الامر حتى جمع المسبح الانصار حوله . فانهزم سفيان الى « دورق » . فحقد على ابن المقفع .

ابو الخصيب :

وها قد وافته الفرصة لإرواء حقده .

ابو ايوب :

وهو كذلك . أنفذ الرسالة اليه على الفور .

المشهد الثالث

المكان : منزل ابن المقفع بالبصرة . اثاث فاخر فارسي السمات .

الزمان : عند الفجر ؛ آثار الظلمة في السماء ، وفي البيت؛ يلطف منها قنديل فارسي من النحاس معلق في سقف ايوان البيت .

* * *

رستم :

بالباب رسول الوالي يطلبك ، يا مولاي !

ابن المقفع : (يحتسي الشاي):

رسول سفيان بن معاوية . يطلبني ؟ انا ؟

رستم :

نعم يا مولاي . يريدك ان تحضر اليه .

ابن المقفع :

سفيان بن معاوية يريدني أن احضر اليه؟ (هازاً رأسه) : قل للرسول ، يا رستم ، اني قادم الى سيده .

(يخرج الخادم للرسول)

(ابن المقفع وحـــده) .

ابن المقفع (مناجياً نفسه):

ان سفيان يريد الايقاع بي! لقد تمكن مني!

يريد ان يمثّل بي كما فعل « عبد الجبار بن عبد الرحمن » بصديقي « عبد الحميد » الكاتب عندما وكل اليه « ابو العباس » امر تعذيبه وقتله .

(متذكرا) : كان « عبد الجبار »، وكان من الاصوب ان يلقب عبد الشيطان ، يُحمي طستا ويضعه على رأس عبد الحميد ، ولم يزل يفعل به ذلك حتى قتله !

متى كان يجرؤ على استدعائي ، هذا الجبان « سفيان » ؟

كنت اعرف موضع حمقه ، واكشفه للناس فلا يجرؤ على الاجابة .

انه يعلم منزلتي من اعمام المنصور ، ومكانتي عندهم ! ولولا انه يبيّت لي الموت ، ومن وراثه قصر الخلافة ، لما جرؤ على طلبي .

لقد سدّ علي كل منفذ ، لا شك في ذلك ؛ الجبان يحسب الف حساب !

انِ سفيان آلة ،

اذلُ من وتد ،

ازهى من غراب ،

احمق من نعامة !

الخليفة المنصور أوعز اليه بقتلي ...

لقد ثقلت عليه وطأة شروط الامان الذي كتبته لعمه عبد الله بن علي .

الامان ! الشروط !

وما قيمة الشروط مع رجل كالمنصور ؟

بدّد جماعة عبد الله قتلا ، وتشريدا ..

وسيقتل عمه شر قتلة !
ان ملء اهاب هذا العباسي مكر ودهاء !
لم يترك احدا الا أوقع به .
(يجلس صامتا متأملا)

ما من شك في ان غضب المنصور بلغ مبلغه بعد قراءة «رسالة الصحابة» .

حسبت انه . على الرغم من استبداده بالحكم وتفرده بالرأي ، سيرى فيها صلاحا لمملكته ، وخيراً لعباد الله .

لقد توسمت الخير للناس بقيام دولة بني العباس ، والخير لابناء امي من الفرس .

فاذا الامر صراع على السلطة، وسفك دماء،
أردت اصلاح امور هذه الامة !
لكن صدر المنصور لا يتسع لغير الضغائن !
(يقف ويمشي من جديد)
يطلبني سفيان ؟
ما اعجب امر هذه الدنيا !
وفي مثل هذا الوقت ؟

***

الظلمة في بطون الوهاد ،
في قلب الارض ،
في عيون النائمين ...
نور الشمس لم يشهر سيفه بوجهها !
الظلمة تخفي الشرور :
من اقوالٍ مكروهة ، واعمال منكرة ،
وافكار مرعبة !
سفيان شبح من اشباح الظلمة !
افكاره عقارب تسعى في مستنقعاتها ...
الظلمة حامية العقارب !
ان لها سدنة باغين :
يتعطشون لدم الاطفال ..
ينهشون أجساد العرائس ...
يودون لو كان بوسعهم ان يحوّلوا لباس
عذارى هيكل النور ،
من لون الزنابق الى لون شقائق النعمان !
ملعونة هي الظلمة !
حاقدة ، غادرة ..
واسعة الشدقين كفوّهة الجحيم !
(يسكت حينا ثم ينشد) :

ايها النور !

يا مركبة الخير الأسمى !

أسرع من جياد في صحراء !

أخف من الريح !

ابلغ من وابل السماء !

أجرى من سحاب الخريف !

أشد انطلاقاً من سهم الارباب !

خذني اليك !

لم تركت الظلمة تدركني ؟!

ما ظهر في سماء عمري ، سوى ستة وثلاثين نجما !

ان بريقها أغرى حمم الظلماء فانفجرت !

(يتقدم من المصباح ليزيد في نوره)

ايها النور !

يا معراج الطيبين من ارض الظلمات !

إن شعاعك اشرق من وراء « خراسان » !

وها شعاع روحي يلقاه ،

فلن يدركه سيف زبانية ابليس !

(يتقدم من خزانة فيفتحها ، ويفرغ من قارورة في فيه سما)

لقد عدت اليك ،

يا نور المشرق !

لقد عدت ...

(يستلقـي عــلى وســادة)

(يسمع من بعيد اذان الفجر)

الله اكبر ! الله اكبر ...

آراء في الكتاب

– ١ –

السؤال الذي يلح علي ، يطارد كل سؤال آخر ، وأنا أقرأ هذا النص الجميل هو هذا : هل قصد الدكتور الكلك في عمله هذا الى اقامة بناء مسرحي ؟ .. هل كان العمل الفني هو غايته الاولى أم كان هناك غايات أخرى تتصل بتاريخ الادب أو تتصل بالجانب الفكري ، هي التي غلبت عليه . ثم جاء الثوب المسرحي اطارا لتجمع هذه الافكار ؟

من الناحية الفنية الصرفة لا أحسبني قادرا على تقييم المسرحية : بنائها وحركتها ونموها وحوارها

وتكاملها وعقدتها وانطلاقها من منطلق وانتهائها الى غاية .. لست قادرا على ذلك لا لأني لا أدعي ثقافة مسرحية متعمقة فحسب بل لان للدكتور الكلك أيضا فيما بدا لي – لم يقصد الى ذلك ولم يركز عليه : لم يقصدالى المسرح الكلاسيكي القديم ولم يقصد كذلك الى المسرح الجديد الذي يتجافى القواعد الكلاسيكية ويتنقصها ان لم نقل انه يثور عليها .

– ٢ –

واذن ففي وسعي أن أتجاوز هذا الاطار في الحديث عن هذا الأثر دون أن أتجاوز الاشارة الى أنه يحمل عناصر المسرحية .. ان له زمانه ومكانه ، وان له شخصياته وان له حواره .. ولكن ذلك كله لم يقصد اليه من جانب العمل الفني المسرحي كما قصد اليه على أنه أداة للتعبير عما كان يملأ نفس الدكتور الكلك حين أنشأ أثره هذا .

في العمل المسرحي تغلب العناصر الفنية على كل شيء .. وأما الأعمال الفنية أو الفكرية الأخرى التي تتسربل بالمسرحية فلا بد أن تفسح للعناصر الفنية مجالا ـ ومجالا رحبا أحيانـــا ـ لاستضافة العناصر الفكرية والعناصر العقلية والعناصر التاريخية .

ماذا وراء اخراج هذا العمل على النحو التالي اذن إن لم يكن الفن المسرحي وحده هو الباعث وهو المثير وهو الذي يوجه الخطى ويتحكم بالنظرات ويكسو العمل ثوبه المميز ؟

ـ ٣ ـ

يبدو لي أنه كان هناك غاية نبيلة أخرى لا تقل عن الغاية الفنية .. تلك هي رعاية التراث ، أو اذا أردنا أن نكون أكثر دقة ـ تلك هي الافراج عن التراث الحبيس في مقاصير الماضي وتحديثه ، الافكار والقصص والشخصيات فيه ، أي عرضها في قالب حديث ، وتقديم ذلك كله في إطار سهل ميسر ، حتى يكون عروة معقودة تصل بين هذا التراث الغائب ـ الحاضر وبين

هؤلاء الناس الذين يعيشون في معطيات الحضارة.

من أجل هذه الغاية – وهي في صلب عملنا الادبي في كليات الآداب – ، ومن أجل هذه المواصلة بين قديمنا وبيننا نحن في هذا العصر .. من أجل التواصل بين التراث الذي هو جزء خفي فينا وبيننا نحن أصحاب هذا التراث الآن والمسؤولين عنه – من أجل هذا كان هذا العمل على هذا النحو .

– ٤ –

من هنا تكون الطبيعة الاساسية لهذا العمل أنه لا يتجه الى طبقة معينة من الناس . انه ليس للخاصة وحدهم فقد يكون الخاصة في غير حاجة الى تذكير بما فيه ، وليس للعامة وحدهم ، على ما نحس من حاجة الى اشراك العامة بهذا التراث كله .. ولكنه لهؤلاء الخاصة ولهؤلاء العامة على السواء ، يذكره أولئك ويتعرف اليه هؤلاء ، ويستخدم هو اللباس المسرحي اداة لشد أولئك وهؤلاء جميعا الى العمل : افكاره وآرائه وأحداثه ورجاله .

ـ ٥ ـ

وحين يكون ذلك هو بعض الأصل الذي تنطلق منه وبعض الهدف الذي نتوجه اليه ، فان العمل يتأثر بهذا المنطلق وبهذا الهدف ، وينسج طريقه من هذه الخيوط التي تصل بين المنطلق والهدف متأثرا بهما خاضعا لهما.. ولذلك فان الذي غلب على العمل انما هو التعريف بابن المقفع في حياته وسيرته والتعريف بابن المقفع بما عنده من رأي وفكرة ومعرفة ، حتى ينزل بين الرجال البارزين في الحضارة العربية .

وقد كان الدكتور الكك أجدر الناس أن يقوم بهذا العمل .. ان صلته بابن المقفع خلال دراساته العليا واتصاله بمصادر هذه السيرة وآثارها وعمله العلمي الذي ألفه في ذلك والذي حاز به شهادة الدكتوراه ـ ذلك كله يهبه قدرة خاصة على الخوض في هذا الموضوع واستخلاص النقاط الكبرى : البارزة المضيئة في حياة هذا الانسان وفي فكره .

ومن هنا تأثر هذا العمل بأمرين اثنين : تأثر بابن المقفع من نحو وتأثر من نحو آخر بصاحبه الذي صاغه وهو الدكتور فكتور الكك .

أما تأثره بابن المقفع فقد جاءه من الحرص على عرض آرائه وافكاره .. وابن المقفع رجل عقله أكبر من أدبه ولذلك غلب الوزن الفكري لهذه المسرحية على وزنها الفني .. والآفاق العقلية لابن المقفع هي التي سيطرت على المسرحية .. ونظراته النافذة الى الحياة والمجتمع والصداقة ، والى الحكم والسياسة والسلطان هي التي كانت محاوره الرئيسية .. وسلوك الانسان ـ والانسان الحاكم بخاصة ـ من خلال ما يمليه عليه عقله ودينه ـ وابن المقفع يوفق بينهما ـ هو الذي يستبد به .. ولهذا كانت تتماوج في النص هذه الاشياء ، تثور فاذا هدأت فانما لتثور مرة أخرى .

وأما تأثره بالدكتور الكك فذلك لان صلة الدكتور بابن المقفع صلة دراسة وبحث هي صلة عقلية أيضا . غير أن التوهج النفسي عند الدكتور

الكلك جعله حريصا أيضا على أن يتناول من ابن المقفع بعض جوانبه النفسية وأن يتناول كذلك حياته العقلية ، وأن يرصد ما بين هذين الجانبين من علائق ، وأن يخرج من ذلك الى التعريف بابن المقفع من وجهيه هذين : الفكري والنفسي .

ولعل الدكتور الكلك ، بركانته الفنية واحساسه الادبي ، قد احس ثقل العبء ، وادرك أنه أمام غلبة الطابع العقلي على ابن المقفع في حياته وتفكيره وأدبه ، لا بد له من ان يسلك في التعريف به سبيلا آخر هو الى الأدب اقرب والى الحياة الفنية أدنى .. أي أنه أحس أن لا بد له من أن يكون هذا الجو العقلي الرصين عند ابن المقفع بشيء من تلاوين الحياة الادبية وأن يلبسه بعضا من لبوس الحياة الفنية .. ولهذا اختار المسرحية ثوبا فنيا ؛ وهذا اولا .. ثم عمد الى أقوال ابن المقفع والى جملة الرصينة المكثفة فصاغها صياغة جديدة .. وبذلك اجتمع له في ذلك هذا العمل الذي يقوم على قاعدة فكرية عريقة في

الاساس ، وعلى لبوس فني في الاخراج ، وعلى تحوير غرضه التيسير ، في الاسلوب .

وأقدر أن الدكتور الكلك خاض معركة صامتة مع أقوال ابن المقفع وآثاره .. انه استسلم الى القاعدة الفكرية بحكم أنها هي صلب ابن المقفع سيرة وسلوكا . فلا سبيل اذن الى مغالبتها .. ولكنه في سبيل الاخراج الفني لجأ الى الشكل المسرحي واضطر الى تجاوز كثير من قواعده لان تفاصيل من تفاصيل حياة ابن المقفع ليست معروفة لدينا ، ولانه كان يريد أن يكون وفيا لعمله أي لناحية التعريف به والتأريخ له .. فلما جاء الى أقوال ابن المقفع وآرائه بعد ذلك صادف هذه المعركة الحامية بينه وبينها : هو يسجل هذه الآراء على نحو ما جاءت في لغتها وأساليبها في كليلة ودمنة وفي الادب الصغير وفي الأدب الكبير وفي رسالة الصحابة .. ولكن ذلك لن يحقق الهدف الرئيسي من المسرحية في التعريف بالتراث ولذلك لجأ الى هذا التحوير في الاسلوب أي الى أن يعاود صياغة آراء ابن المقفع بلغة هي أقرب الى لغة العصر .

وقد وفق الى ذلك لانه وصل الى تيسير هذه الافكار من غير هلهلة والى تجديد صياغتها من غير ضعف .. فكأنه جمع بين عنصرين : عنصر التجديد وعنصر التجويد.

ولقد بلغ من ذلك مبلغاً كبيراً حتى أوشك أن يخدع عددا من القراء الذين يحيون دائما مع الادب العربي فظنوا أحيانا أن العبارات التي جاءت على لسان ابن المقفع في المسرحية هي عباراته في آثاره التي خلفها .. وانما أتاح لهم ذلك براعة الصياغة التي قصد اليها الدكتور الكك قصدا ووفق اليها في مرات كثيرة توفيقا واضحا .

— ٨ —

قلت في خلال الحديث ان الدكتور الكك كان وفيا لاحداث التاريخ حين أنشأ هذه المسرحية . والحق أن تلك واحدة من أبرز الصفات في هذا العمل .. فالمؤلف لم يحاول أن يمد الآفاق أمام خيال رحب ، ولا أن يطير في أجواء بعيدة مطلقة .. إنما كان في الواقع ومع الواقع .. ذلك

أثر من آثار ابن المقفع نفسه ومن آثار الروح العلمية الدرسية التي ربطت بين المؤلف وبين ابن المقفع حين أقبل عليه من قبل دارسا .. ولهذا لا نجد شخصية من شخصيات هذا العمل الفني الا ولها مكانها من التاريخ والواقع .. وجودها في المسرحية ظلٌ لوجودها الواقعي التاريخي .. هذا الا اذا استثنينا شخصية رسم خادم ابن المقفع .. فهو وحده الذي اضطره العمل المسرحي - أردت العمل الفني - أن يستحدثه وأن يستعين به في بعض الحوار .

وارتباط ما بين المسرحية والتاريخ - هذا الارتباط الذي يوشك أن يكون قاسيا وأن يكون شديدا وأن يكون هو مصدر الجور على الجانب الفني - هذا الارتباط يقود المؤلف الى أن يكون وفيا لآرائه الشخصية التي انتهى اليها من قبل عن ابن المقفع .. فالاجماع على أن ابن المقفع قد قتل ، ولكن المؤلف يقع على نص يتحدث عن انتحار ابن المقفع وليس عن قتله ، فيتمسك بهذا النص ويذهب جازما دون تردد الى أنه قد انتحر

ويجعل من المسرحية تبشيرا بهذا الرأي وتأكيدا عليه ، دون أن يكون هناك ـ فيما بلغ من قناعتي ـ ما يتيح هذا التأكيد .

ـ ٩ ـ

على أن هناك أمورا أخرى تستوقف القاريء في مجال الحقائق التاريخية وتضعه على خط آخر مخالف لخط المؤلف .. هذا الا أن يكون ما فعله المؤلف نوعا من الاتساع في التعبير أو نوعا من مسايرة الافكار العامة دون وقوف متأن عميق عندها :

أ ـ من ذلك الحديث عن عبد الحميد الكاتب وانه اعجمي فارسي .. وليس الامر بمثل هذه السهولة ولا هذا اليسر ومؤرخو الادب لا يتفقون على أن عبد الحميد فارسي بل ان كثرتهم على أنه غير فارسي .

ب ـ ومن ذلك أيضا هذه الروح العامة التي اتخذها الحديث عن الامويين ، عن الامويين جميعا دون استثناء او احتياط ، وبخاصة ما كان

من تصوير علاقاتهم بالموالي .. وتلك أيضا قضية من أخطر قضايا التاريخ العربي التي يوشك التعميم فيها أن يذهب بالحقيقة . فالامويون على قلم المؤلف وعلى لسان ابن المقفع «جاوزوا حدود البطش والفتك ، لم يتركوا علوياً مطمئنا الى فجر غده ، وبعض عمالهم لم يرع حرمة ركوع أو سجود.لقد ملأوا قلوب الاعاجم إحنا وشحنوا صدورهم حقدا ، فما تألفوا قلوبهم ولا عاملوهم بما نص عليه القرآن وجرت عليه السنة» .

والامويون مرة أخرى «لم يرعوا لنا عهدا ، ولا وفوا بعهد الرسول اليناحين حدث أن الناس سواسية كأسنان المشط وانه لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى» .

والفرس فيما بين هذه وتلك لاقوا من عنت الامويين واضطهادهم .

ومن المؤكد أن شيئا كثيرا من ذلك يحتاج الى اقتصاد في التعبير والى احتراز من التعميم ، بل ان قدرا كبيرا منه يحتاج الى مراجعة وأحسب

ان الموقف الآن لا يسمح بمعالجته وانما أردت الاشارة إليه .

جـ ـ وعلى أن الاستاذ المؤلف أقرب الباحثين الى آراء ابن المقفع . فان فيما أورده منها ما لا سبيل الى الاطمئنان اليه على أنه من آراء ابن المقفع من مثل رأيه في الاديان .

د ـ ولست أتحدث بعد عن بعض التفاصيل في العمل المسرحي ومدى تطابقها مع التاريخ ، وكثيرة هي . إلا أني أتساءل عن شرب الشاي أكان معروفاً في تلك الفترة ؟ وعن لقاء بعض شخصيات المسرحية في بعض الفصول أكان لقاء ممكنا تسمح به الاحداث والأزمنة .. وهي على كل حال تفاصيل يمكن تجاوزها ما دامت لا تخرق الروح العامة للعصر .

هذا ويبدو لي أني لن أدع الحديث عن هذا العمل الفني الحلو ـ والحديث عن بعض منه يغري بالحديث عن بعض . شأن الأثر الأدبي المثير ـ قبل أن أتوقف عند روح الاعتزاز بالفرس التي كانت تتبدى عند ابن المقفع وبخاصة عند حديثه

عن حكماء الفرس وملوكهم وسياستهم وتدبيرهم .. ومن ذلك حديثه عن انو شروان ذي الروح الخالدة .. يقابل ذلك روح أخرى تحمل الاعجاب كله عند أعمام المنصور حين يستزيدون ابن المقفع — في نحو هو أقرب الى الدلالة على السذاجة — من معلوماته عن حكمة الفرس وعن سياستهم .

— ١١ —

على أنك اذا تسامحت في هذا الطرف من الحديث وحملته على روح الاعتزاز والتمجيد ، سواء كان هناك ما يدعو اليها أو لم يكن — فأنت متوقف حتما عند نهاية التمثيلية ، لا عند انتحار ابن المقفع أو مقتله فحسب .. وانما عند هذه الروح التي أضفاها الأستاذ المؤلف على هذه اللحظات الاخيرة .. لقد كتب أسطرا رائعة على لسان ابن المقفع ، ولكنه رد الرجل الى دينه القديم بعد أن تحدث عن اسلامه وجعله يخاطب الظلمة ويخاطب النور .. يلعن هذه ويمجد ذاك . « معراج الطيبين من أرض الظلمات .. والنور أشرق من وراء جبال خراسان .. » .

ترى هل يطمئن المرء الى مثل هذه الردة ؟ الى مثل هذه الرؤية .. أكان الاستاذ المؤلف قاصدا الى ذلك أم أن اللبوس الادبي هو الذي قاده الى الى مثل هذه الخاتمة ؟

ألا يبدو أن المسرحية هنا تخرج عن هدفها الذي تنتظر اليه من الوفاء للتراث ومن التعريف برجالاتنا وادبائنا ؟

ان هذا التعريف يتخذ طريقه الى قلوب الناس وعقولهم عن طريق استخدام هذه المسرحية في الاذاعة المرئية « التلفزيون » .. واذن فمن الحق أن تكون المواد التي نستخدمها في ذلك هي هذه المواد التي كانت موضع اجماع .

وفي بحث علمي يكون من حقي أن أناقش كل قضية ، وأن أفسح مجالا لكل رأي ، لدراسته وامتحانه .. ولكن القدر الذي استخدمه من هذه الآراء في عمل فني عام يقدم للجمهور انما هو هذا القدر الذي يقع عليه الاجماع .. وهو هذا القدر الذي لا يثير شكوكا ولا يفتح ثغرا ليس في

مقدور الذين يستمعون اليه لا معالجتهـا ولا ادراكها .

* * *

وبعد فنحن أمام نوع من العمل جديد يستثير التقدير ، لان فيه معنى الالتزام بالعلم ومعنى الالتزام بالمجتمع .. الالتزام بالعلم ؛ ـ باستثناء ما أشرت اليه ـ عن طريق احكام الصلة بهذا التراث . والالتزام بالمجتمع ـ ومرة أخرى باستثناء ما أشرت اليهـ عن طريق توعيته وترشيد طريق الناس فيه .

وقد كان الدكتور الكك كما كان ابن المقفع حريصا على الوفاء لهذين الالتزامين . حريصا على ان يكون للادب رسالته الاجتماعية وللتراث نصيبه في هذه الرسالة .

الدكتور شكري فيصل

استاذ كرسي الأدب العربي في جامعة دمشق

فهرست الكتاب

أرقام الصفحات

للمؤلف

• باللغة العربية

١ ــ بديعات الزمان : بحث تاريخي تحليلي في مقامات الهمذاني

الطبعة الأولى : المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦١

الطبعة الثانية : دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧١

٢ ــ الغــزالي : حجة الإسلام

الطبعة الأولى : بيروت ، ١٩٧١

الطبعة الثانية : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ١٩٧٢

٣ ــ ابن المقفــع : أديب العقل

الطبعة الأولى : بيروت ، ١٩٧١

الطبعة الثانية : دار الكتاب اللبناني ، بيروت ١٩٧٢

٤ ــ صناعة الكتابة : (بالاشتراك مع د. اسعد علي)

الطبعة الأولى : بيروت ، ١٩٧٢

٥ ــ جذور العربية فروع الحياة : (بالاشتراك مع د. اسعد علي)

الطبعة الأولى : بيروت ، ١٩٧٢

• باللغة الفارسية

٦ ــ تأثير فرهنك عرب در اشعار منوجهري دامغاني

دار المشرق ، بيروت ، ١٩٧١

٧ ــ تأثير صابئين حرّان در تمدن اسلامي :

طهران ، ١٩٦٢

بيروت ، ١٩٧١

• قيد الاعداد والطبع

١ ــ معالم الادب الفارسي

٢ ــ ترجمة « سفرنامه » لناصر خسرو (عن الفارسية)

٣ ــ الجاحظ : معلمة الثقافة العربية

٤ ــ خليل مطران

رأي في الكتاب

* **نحن امام نوع من العمل جديد يستثير التقدير ، لأن فيه معنى الالتزام بالعلم ومعنى الالتزام بالمجتمع .**
وقد كان الدكتور الكك ، كما كان ابن المقفع — حريصاً على الوفاء لهذين الالتزامين .

* ... الدكتور الكك أجدر الناس أن يقوم بهذا العمل .. إن صلته بابن المقفع خلال دراساته واتصاله بمصادر هذه السيرة وآثارها — ذلك كلّه يهبه قدرة خاصة على الخوض في هذا الموضوع ...

* **الآفاق العقلية لابن المقفع هي التي سيطرت على الكتاب .. ونظراته النافذة الى الحياة والمجتمع والصداقة والى الحكم والسياسة والسلطان هي التي كانت محاوره الرئيسية .. وسلوك الانسان — والانسان الحاكم بخاصة — من خلال ما يمليه عليه عقله ودينه ، وابن المقفع يوفّق بينهما — هو الذي يستبدّ به .**

* صلة «الكك» بابن المقفع صلة دراسة وبحث — وهي صلة عقلية ايضاً . غير ان التوهج النفسي عند الدكتور الكك جعله حريصاً ايضاً على ان يتناول من ابن المقفع بعض جوانبه النفسية ، وأن يتناول كذلك حياته العقلية ، وأن يرصد ما بين هذين الجانبين من علائق ، وأن يخرج من ذلك الى التعريف بابن المقفع من وجهيه هذين : الفكري والنفسي .

* **... براعة الصياغة التي قصد اليها الدكتور الكك قصدا ، ووفّق اليها توفيقاً واضحاً .**

شكري فيصل